



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قطب شتمة–

قسم العلوم الإنسانية

شعبة تاريخ

عنوان المذكرة :

السياسة العثمانية في بلاد الشام 1876 - 1916 م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر

إعداد الطالبة:

غانم سمية

الأستاذ المشرف(ة):

بوخليفي قويدر جهينة

السنة الجامعية : 2015/2014 م


بسم الله الرحمن الرحيم

قالى تعالى :



الآيـــــة رقم (114) سورة طه

شكر وعرفان

إذا حضينا بالتوفيق فانه من فضل الله تعالى نحمده ونشكره على توفيقنا

لإكمال هذه المذكرة، أولا فالشكر الموصول إلى جميع أساتذتي في شعبة التاريخ

لن ننكر فضلهم مما قدموه من جهود خلال دراستنا الجامعية ،كما أتوجه

بالشكر إلى أستاذتي المشرفة **"بوخليفي قويدر جهينة"** على كل الدعم

والمساندة.

وكمـــا أتقدم بكل شكر وعرفان إلى كل من ساندني وقدم لي يد المساعدة

واخص بالذكر كل من الأستاذ مصمودي نصر الدين وميسوم بلقاسم و شلبي شهرزاد

مقدمة

لقد شهدت منطقة بلاد الشام في أواخر العهد العثماني، مابين (1876–1916) نوعين من السياسة، فالنوع الأول الممتد من (1876–1908) والمتمثل في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني إلى غاية عزله في عام 1908 وما ترتب عليها من الإصلاحات في المنطقة نتيجة الوضع الذي تمر به الدولة العثمانية بصفة عامة ومنطقة بلاد الشام خاصة كما نعرف أن هذه الفترة عرفت بضعف الدولة العثمانية وتجسد هذا الضعف بظهور مجموعة من الحركات الانفصالية ضد الدولة العثمانية في المنطقة بالإضافة إلى ظهور حركات قومية عربية تدعوا إلى استيقاظ العرب وتنبهم بعدم قبول العيش تحت راية الدولة العثمانية والدعوة إلى الانفصال عنها .

لذلك لجأ السلطان عبد الحميد الثاني لدى توليه مقاليد الحكم القيام بمجموعة من الإصلاحات في جميع الميادين هذا من جهة ومن جهة أخرى من أجل الوقوف في وجه العدوان الصليبي في المنطقة فالسلطان عبد الحميد الثاني يؤمن بالإصلاحات القائمة على أساس حاجات السكان لا على أساس استيرادها من الخارج أو أنها مفروضة عليه فهو يؤمن بمبدأ الأخذ بالعلوم والصناعة الحديثة من أوربا، لا تقليدها في كل نواحي الحياة وكان يؤمن بتطبيق المركزية الإدارية في الدولة العثمانية وهو يعد من السلاطين المثقفين.أما الفترة الثانية من السياسة العثمانية في بلاد الشام مابين(1908–1916) تتمثل في سياسة الاتحاديين وما ترتب عليها من تغيير جذري في المنطقة نتيجة السياسة التعسفية التي قام بها هؤلاء في المنطقة خاصة سياسة جمال باشا والذي يعتبر واحد من الأقطاب الثلاث(أنور باشا ،جمال باشا،طلعت باشا) الذين ساهموا في عزل السلطان عبد الحميد الثاني كما ساهموا في تغيير الوضع في المنطقة نتيجة سياستهم العنصرية والحاقدة على العنصر العربي والداعية إلى إحياء الأمجاد التركية وما ترتب عنها من نتائج في المنطقة .

أسباب اختيار الموضوع:

✓ كانت لنا رغبة جامحة في دراسة بلاد الشام خاصة فترة السلطان عبد الحميد الثاني من أن اجل أن ننظر للتاريخ بنظرة واقعية لأنه في كثير من المراجع وجدنا انه بين كفتين الأولى مع السلطان عبد الحميد الثاني والثانية وصفته بالمستبد.

✓ هو أن المنطقة عرفت في أواخر العهد العثماني تغيرا كبيرا من خلال رفضها للسياسة العثمانية.

✓ من اجل معرفة بلاد الشام من حيث مختلف أوضاعها في أواخر العهد العثماني كما إننا نعرف أن الدولة العثمانية أصبحت تسمى في هذا العهد بالرجل المريض.

✓ من اجل معرفة السبب الحقيقي الذي أدى بالمنطقة إلى إعلان الثورة على العثمانيين فهل كان العثمانيون هم السبب الحقيقي أم نتيجة تدخل أطراف أخرى كفرنسا وبريطانيا في المنطقة ما ساعدها في إعلان الرفض للسياسة العثمانية؟ أم كانت هي بالفعل سياسة جائرة .

الإشكالية:

وبناءا على ذلك فان هذه الدراسة جاءت لتحلل وتجيب عن الإشكال التالي:

كيف كانت السياسة العثمانية في بلاد الشام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وعهد الاتحاديين مابين (1876-1916)؟ وعليه نطرح الأسئلة الفرعية التالية:

كيف كانت سياسة عبد الحميد الثاني في بلاد الشام؟ وماهي أهم الإصلاحات التي قام بها ؟

ما النتائج المترتبة عن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في المنطقة ؟

كيف كانت سياسة الاتحاديين وما النتائج المترتبة عن ذلك خاصة في مجال التتريك؟

إلى أي مدى ساهمت سياسة جمال باشا في تأليب السكان في المنطقة على الدولة العثمانية ؟ وما النتائج المترتبة عنها ؟

أما بالنسبة لإعداد خطة المذكرة فقد جاءت على الشكل التالي: مقدمة الدراسة والتي احتوت على تمهيد شامل ثم مدخل رئيسي جاء في نهايته طرح الإشكال العام لموضوع الدراسة ثم التساؤلات الفرعية، بالنسبة لخطة البحث فقد جاءت على النحو التالي مدخل تمهيدي وثلاث فصول يندرج داخلها مباحث حيث يأتي في المقدمة مدخل تمهيدي فقد تم تقسيمه إلى عناصر والذي جاء بعنوان الأوضاع العامة لبلاد الشام أولا بعنوان جغرافية بلاد الشام ودرسنا فيه التسمية والإطار الجغرافي لبلاد الشام بصفة عامة وأقاليم بلاد الشام (سوريا، فلسطين، الأردن، لبنان) أما العنصرالثاني تطرقنا فيه إلى الوجود العثماني في بلاد الشام حيث تمت دراسة كل من العلاقات العثمانية والمملوكية بعدها درسنا التوسع العثماني في بلاد الشام أما بالنسبة للفصل الأول الذي كان بعنوان: سياسة عبد الحميد الثاني الإدارية والسياسية والعسكرية (فالإصلاحات الإدارية تتمثل في التقسيمات الإدارية لأقاليم بلاد الشام،والدستور1876، الإصلاحات في ميدان القضاء والإصلاحات في الميدان العسكري) أما بالنسبة للإصلاحات السياسية تطرقنا فيه لسياسة عبد الحميد الثاني اتجاه العرب، الجامعة الإسلامية، سياسته اتجاه الحركة الصهيونية.أما الفصل الثاني: فهو بعنوان سياسة عبد الحميد الثاني الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بلاد الشام فمن جانب الإصلاحات الاقتصادية فقد تناولنا الأوضاع الاقتصادية لبلاد الشام، الطرق والمواصلات ووسائل الاتصال والعملة في بلاد الشام ومصارفها .وتطرقنا أيضا إلى الإصلاحات الاجتماعية(تركيبة المجتمع، الطوائف المذهبية في بلاد الشام، المساحة والسكان لأقاليم بلاد الشام، الإصلاحيات الصحية، اهتمامه بالمرأة) والثقافية (فكانت في جانب التعليم الطباعة، الصحافة، حركة الترجمة والتأليف، والعمران)

ونتائج سياسة عبد الحميد الثاني في بلاد الشام .أما الفصل الثالث فهو بعنوان: سياسة الاتحاديين في بلاد الشام وتطرقنا فيه إلى دور جمعية الاتحاد والترقي ويهود الدونمة في عزل السلطان عبد الحميد الثاني ثم إلى سياسة التتريك في بلاد الشام ،فمنذ أن تولى الاتحاديين الحكم سعوا إلى فرض سياستهم التتريكية في كل من اللغة والدين والوظائف الحكومية ومجلس المبعوثان ، بعدها تطرقنا إلى سياسة جمال باشا في المنطقة حيث شهدت العديد من المجازر نتيجة الإعدامات التي قام بها ويأتي في الأخير نتائج سياسة الاتحاديين والتي سوف يكون هناك موقفين، الموقف الأول من سياسة الاتحاديين والموقف الثاني من سياسة جمال باشا. ثم الخاتمة والتي تناولنا فيها خلاصة ما تم استنتاجه تليها الملاحق وجاء في الأخير قائمة الصادر والمراجع وفهرس الموضوعات

أما فيما يخص المنهج الذي تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، بحيث اعتمدنا على المنهج لدراسة الأحداث التاريخية دراسة كرونولوجية ووضعها في قالب محكم، أما المنهج الوصفي فاعتمدنا عليه في دراستنا لطبيعة بلاد الشام بصفة عامة وأقاليم بلاد الشام "سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ولبنان" بصفة خاصة وأيضا لوصفنا بعض الأوضاع التي تحتاج لدراسة وصفية مثل الأوضاع الاجتماعية والثقافية .

أهم المصادر والمراجع المعتمدة: اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع في هذه الدراسة، ومن بين هذه المصادر والمراجع لدينا: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ،ومذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي: والدي السلطان عبدا لحميد الثاني، بالإضافة إلى عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914، ومحمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين،ومحمد علي الأحمد:سقوط الخلافة عرب بلاد الشام والدولة العثمانية؟

بالنسبة للصعوبات والعراقيل التي واجهتنا قلة المادة العلمية في فترة السلطان عبد الحميد الثاني من ناحية الإصلاحات التي قام بها في منطقة بلاد الشام فجل المراجع تتحدث عن السلطان عبد الحميد الثاني والحركة الصهيونية ،والسلطان عبد الحميد الثاني وجمعية الاتحاد والترقي هذا من جهة ومن جهة أخرى وجدنا صعوبة في قلة المراجع التي تتحدث عن بلاد الشام من الناحية الجغرافية وصعوبة ضبط الخطة والتنسيق فيما بين العناصر .

مدخل تمهيدي

الأوضاع العامة لبلاد الشام

- أولا: جغرافية بلاد الشام
  - التسمية
  - الإطار الجغرافي لبلاد الشام
- ثانيا :الوجود العثماني في بلاد الشام
  - علاقات العثمانيين والمماليك
  - التوسع العثماني في بلاد الشام
  - التنظيمات العثمانية الإدارية في المنطقة

أولا : جغرافية بلاد الشام

التسمية :

يرى اللغويين والجغرافين سبب تسمية الشام "شاما"، آراء مختلفة فقيل إنما سميت الشام شاما لأن قوما من كنعنان نزلوها فتشاءموا إليها فسميت شاما لذلك، وقالت طائفة إنما سميت شاما، لما تشاءم لها أهل اليمن من يمينهم كما يقال تيامنوا وتياسروا فسميت بذلك وقيل سميت الشام شاما لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت بالشامات ــ كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة وقد تجمع الشام على شامات ــ وتسمى بلاد الشام بذلك كما أن إطلاق الشام على دمشق وأريد أيضا من باب إطلاق العام على الخاص، والعرب كثيرا ماكانوا يسمون المدن القواعد بأسماء أقاليمها، فكانوا يقولون بلا فرق دمشق* أو الشام الفسطاط أو مصر، شيام أو حضر موت. [1]

ويطلق أيضا مصطلح بلاد الشام نسبة إلى (سام بن نوح)لأنه استقر في هذه المنطقة وكانت السين تنطق باللغة السريانية شين لذلك سميت الشام [2] وقال أهل الأثر: سميت بذلك لأنه قوما من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال فسميت الشام لذلك [3] وقيل أيضا أن أرض الشام مختلفة الألوان بالحمرة والبياض والسواد لوجود جبال بيض وسود كأنها شامات فسميت شاما . [4]

---

(1) نجدت خماشي : الشام في صدر الإسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية ، دراسة للأوضاع الاجتماعية والإدارية ، ط ،دار طلاس ، دمشق ، سوريا ، 1987 ، ص 39 ، 40

* دمشق مدينة في سورية مركز لواء ، وولاية دمشق : تقع في واد واسع ، تسقيه مياه بردى . كانت دمشق أغنى وأهم مدن سورية وكما قال عنها ياقو ت الحموي : البلدة المشهورة وهي قصبة الشام ، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة وكثرة فاكهة ونزاهة ، وتقع على خط العرض 30° و 33° وخطي الطول26و18°. أنظر : س ،مو ستراس : المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية ، ترجمة عصام محمد الشحادات ، ط 1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، 2002 ص267

(2) محمد صالح ربيع العجيلي : معجم المصطلحات والمفاهيم الجغرافية ، ط1 ، دار الصفاء ، عمان ، الأردن ، (د س)، ص 193

(3) الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الثالث ، دار صادر ، بيروت ، لبنان 1957 ، ص312

(4) عبد الجواد سالم عثمان : المؤسسات الدينية وأثرها في تطور الدراسات القرآنية في القرن (8هـ) في بلاد الشام ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، المجلد 7، العدد 13 ، 1434 هـ / 2013 م ، ص3

الإطار الجغرافي لبلاد الشام :

كان أول جغرافيين أعطى للديار الشامية وحدة جغرافية الاصطخري(321هــ) ثم المقدسي (380هــ) إذ عنوان الاصطخري الفصل الخاص بالشام بقوله " أرض الشام " أما المقدسي فقد استعمل " قاصدا بذلك وحدة جغرافية " كما أن المقدسي هو أول من تكلم عن التكوين الطبيعي لإقليم الشام فقال: ووضع هذا الإقليم ظريف، وهو أربعة صفوف فالصف الأول يلي بحر الروم وهو السهل رحال منعقدة ممتزجة يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن الساحل والصف الثاني الحبل، مشجر ذو قرى وعيون ومزارع ويقع فيه من البلدان بيت جبريل وإيلياء ونابلس واللجون والقدس والبقاع وأنطاكية والصف الثالث، الأغوار ذات قرى وأنهار ونخيل ومزارع يقع فيه من البلدان أيلة وبنوك وصغر رزغر، وأريجا وبيان وطرية وبانياس والصف الرابع سيف البادية وهي جبال عالية معتدلة مع البادية ذات قرى وعيون وأشجار يقع فيه من البلدان مآب وعمان وأذرعات ودمشق وحمص وحلب. (1)

والشام من الناحية الجغرافية(انظرالملحق 1) يحدها من الغرب البحر المتوسط ومن الشرق بالبادية من آيلة إلى الفرات ، وتحدها شمالا بلاد آسيا الصغرى ، وجنوبا حد مصر وحددها الأصطخري في كتابه المسالك والممالك (مابين 318 ،321ه) قال : "وأما أرض الشام فإن غرببها بحر الروم (بحر الأبيض المتوسط) وشماليها البادية من آيلة إلى الفرات ، ثم من الفرات إلى حد الروم وشماليها بلاد الروم وجنوبها حد مصر،وتيه بني إسرائيل" . (2)

بالإضافة إلى حدود بلاد الشام الجغرافية، قال ابن أثير: واعلم أن الشام خمسة أجناد: أولها من الفرات جند قنسرين، ثم جند حمص، ثم جند دمشق، ثم جند حوران (جند الأردن)

(1) نجدت الخماشي: المرجع السابق ، ص41، 42
(2) عبد الجواد سالم عثمان : المرجع السابق ، ص4، 5

ثم جند فلسطين وقال وكل من جند من هذه عرضه من ناحية الفرات إلى الناحية فلسطين وطوله من الشرق إلى البحر . [1]

وهي البلاد الواقعة شمال شبه الجزيرة العربية وقد كان العرب في الجنوب يطلقون اسم الشام على جميع أجزاء المنطقة الشمالية من البلاد العربية وتشمل حدود بلاد الشام بحسب ما أورده الجغرافيون العرب الأوائل وهي تقريبا سوريا الحالية ولبنان وفلسطين والأردن وبذلك تحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق بادية الشام من آيلة وهي آخر الحجاز وأول الشام إلى الفرات ومن الشمال تمتد حدودها من الفرات إلى بلاد الأناضول ومن الجنوب يحدها سيناء وترتكز في العصر الحديث اسم الشام في مدينة واحدة هي دمشق وأحيانا يطلق اسم الشام على كامل سوريا الحالية .

وتقع بلاد الشام في الطرف الغربي من قارة آسيا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهي بين خطوط الطول 34.30° و 37.30° شرقا، ودوائر العرض 31.10°و 43.30°شمالا، وموقعها الاستراتيجي جعلها همزة وصل بين الغرب والشرق، بحيث شمال غرب شبه جزيرة العرب وإلى الغرب من منخفض العراق تمتد بلاد الشام مكونة وحدة تضاريسية لها خصائصها المميزة . [2]

1 ــ 2 السهول: فهناك نوعين من السهول

- السهول الساحلية : تمتد هذه السهول على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط من شبه جزيرة سيناء إلى خليج الإسكندرون وقد تكونت نتيجة للتعرية البحرية والتعرية الأرضية ولهذا اختلفت أشكالها من إقليم إلى آخر، ويتميز الساحل بقلة تعاريجه وتختلف بني ته في

([1]) محمد بن علي البروسوي "الشهير باين سباهي ارادة " أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك ، تحقيق المدى عبد الرواضية ، ط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص 415

([2]) جيهان بنت إبراهيم بشار علي عبد الرحيم : الآثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام(1924 ،1939) ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2011 ، ص2

الشمال عنها في الجنوب فهو في شمال جبل الكرمل صخري تكثر فيه الرؤوس والخلجان ثم يتحول في الجنوب إلى ساحل رملي منبسط له انحناء منتظم ويتميز بهذا الشكل حتى سواحل شبه جزيرة سيناء. وتختلف اتساع السهول الساحلية من جهة إلى أخرى ولذا فهي أشبه بالسهول المتقطعة غير المتصلة، وتحمل أجزاؤها أسماء مختلفة، يمكن أن نتبعها من الشمال إلى الجنوب على النحو التالي:

- سهل الاسكندرون: ويمتد من سفوح جبال أمانوس في شكل قوس حول خليج إسكندرون ويتراوح عرضه بين 5 و 10 كيلومترات، وينتهي عند رأس الخنزير التي هي نهاية جبال أمانوس، وتقفل السهل من الجنوب فتفصله عن بقية السهول الساحلية.
- سهل العلويين: وهي أطول امتدادا وأكثر اتساعا، ويحدها من الشمال الجبل الاقرع الذي يفصل بينه وبين جبال أمانوس منخفض ضيق يجري فيه نهر العاصي الأدنى في طريقه إلى البحر.

ويحدها في الشرق كتلة جبال العلويين، وتتكون من عدد من السهول الصغيرة المتصلة في سهل اللاذقية في الشمال، وسهل جبلة– بانياس – طوروس في الوسط و الجنوب.

سهل عكار: ويقع حول خليج عكار ويمتد شرقا حتى يتصل بالانخفاض الذي يفصل كتلة العلويين عن جبال لبنان ، ويجري إليه النهر الكبير الجنوبي ويصب في خليج عكار عند بلدة العريضة بعد رحلة طولها 58 كيلومترا، وفي جنوبه يأخذ السهل في الضيق حتى يكاد يتلاشى في المنطقة بين طرابلس وبيروت.

- السهول الداخلية: تنتهي بادية الشام إلى منطقة من السهول في الشمال الغربي وهي سهل حلب وسهل حماة–حمص. [1]

([1]) محمد محمود صياد: معالم جغرافية الوطن العربي ، مجلد1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ،1970، ص 103 .105

وتمتد سهل حلب بين وادي الفرات والمنخفض الأخدودي، وبها هضبتان هما هضبة حلب في الشمال الشرقي، وهضبة إعزاز في الشمال الغربي.ويجري فيها نهران هما: نهر قويق الذي ينبع من هضبة عينتاب وهو نهر ذو تصريف داخلي ينتهي إلى مستنقعات المطخ التي تقع إلى الجنوب من حلب ولايجري النهر بالماء طوال السنة بل يجف تماما في فصل الصيف.

ويحد سهل حماة–حمص في الشمال جبل الزاوية، وفي الجنوب جبال لبنان الشرقية وتتصل بالمنخفض الأخدودي في المنطقة التي يجري فيها نهر العاصي الأوسط وتعتمد السهول على مياه نهر العاصي وعلى الأمطار التي تصل إليها عن طريق فتحة طرابلس–حمص. [1]

2.2. سلاسل بلاد الشام :

وتشرف السلسلة الغربية على الساحل الشام فتبدأ بجبال الأمانوس* شمالا حتى جبل سيناء المرتفع في الجنوب، وأهم أجزائها لبنان الغربي، هذه السلسلة هي ثاني المناطق الطولانية وتشكل أولا حاجزا للمواصلات بين البحر وما يقع وراءه في الشرق، لا يمكن اختراقه إلا عند خليج الاسكندرون حيث يجرى الاتصال عن طريق الجسر السوري بسهولة مابين النهرين وعند برزخ السويس، حيث يتم الاتصال بالبحر الأحمر أو مع الصحراء العربية، وتستمر السلسلة الغربية جنوبي مصب نهر العاصي في جبل الأقرع ** الذي يرتفع إلى 1480 م وتمر بجوار اللاذقية ثم تتابع سيرها إلى النهر الكبير الجنوبي وتتضمن أودية عميقة متعددة وعرة ومرتفعات شديدة الانحدار. [2]

(1) محمد محمود صياد: المرجع السابق ، ص106،107

* الأمانوس : هو التواء فرعي يمتد من جبال طوروس التي تفصل الشام عن آسيا الصغرى باتجاه الجنوب ليصل بكتلة الشام ويحيط الأمانوس بخليج الإسكندرون ويرتفع 1400 م عن سطح البحر. أنظر مصطفى طلاس الثورة العربية الكبرى،المرجع نفسه ،ص33،34

** جبل الأقرع : سمي بهذا الاسم لخلوه من العشب

(2) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ط4 ، دار طلاس ، دمشق ، سوريا (د س) ، ص 33 ، 34

أما السلسلة الشرقية: فتبدأ من جنوبي حمص موازية لسلسلة لبنان الغربية على طول وارتفاع واحدة ثم تنحدر من حرمون سرعة نحو هضبة حوران والجولان ومن هناك تستمر في شرقي الأردن ، في تلال جلعاد، وهضبة مؤاب وجبل سعير جنوبي البحر الميت . [1]

3.3. الهضـــــاب :

كذلك توجد في الشام أيضا هضاب، حاجزة منها الهضاب العالية في جنوب الشام في إقليم طبرية وهضبة اليهودية وبها القدس، وهضبة الأردن، ويفصل غربها عن شرقيها وأخدود الغور، ويوجد في هضبة الأردن مسالك وأغوار تتجه إلى مصر، و"الغور طريق ممتد محصور بين مرتفعات"، كذلك توجد أنهار تفصل بين أجزاء مناطق الشام يتفرع معظمها إلى أنهار أشهرها نهر الفرات، الذي يخترق الجزء الثاني الشرقي من الشام وهو أعظم أنهار الشام وينحدر من هضبة الأناضول في طريقه إلى العراق وهو يقطع الأراضي الشامية في هذه الجهة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ونذكر نهر حماه ويسمى نهر العاصي أوالارنط وهو اسمه القديم ونذكر نهر الأردن ويسمى الشريعة وفرعه اليرموك أيضا وأصله من أنهار تصب من جبل الثلج في شمال لبنان ويمتد جنوبا إلى فلسطين ونذكر نهر العوجاء ويسمى نهر أبي قطرس ويجري من جبل الخليل في فلسطين، وكذلك توجد في الشام الصحارى التي تسببت في تقسيم الشام إلى قسمين رئيسين، تضم مساحات واسعة من أراضي الشام، اشتهرت باسم بادية الشام أو البلقاء وهذه المنطقة تضم مجموعة من المراكز كنقط عبور للقوافل والرحلات الصحراوية بين الشام والجزيرة العربية والعراق كذلك توجد في الشام السهول والمنخفضات التي كانت فاصلا مابين مناطق الشام المتعددة وحتى المنطقة الساحلية فهو ينقسم إلى قسمين " الوسط الجنوبي " وفي الجزء الأوسط من الساحل الشامي [2]

([1]) مصطفى طلاس : المرجع السابق، ص 33 ، 34

([2]) محمود السيد : العرب أخطر المعارك العربية في تاريخ العالم ، (دط) ، منشأة المفكرين، الإسكندرية، مصر (د س) ص34 ، 35

سهل ساحلي ضيق حيث توجد الثغور الساحلية للشام، ويتلوه شرقا سهل البقاع ويتعرض هذا السهل الساحلي امتدادات من الجبال تفصل بين أجزائه. [1]

ومن بعد أن تطرقنا لجغرافية بلاد الشام بصفة عامة، لابد من أن نعطي لمحة جغرافية عن أقاليم بلاد الشام (سوريا، فلسطين، الأردن، لبنان):

سوريـــــا :

يحدها شمالا تركيا وجنوبا فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية وغربا البحر الأبيض المتوسط ولبنان وشرقا العراق وسطحها ينقسم إلـــــــى:

1. الساحل: وهو صغير عليه بعض الرؤوس والخلجان أهمها رأس الخنزير وخليج السويدية،والسهول الساحلية الخصبة وأخصبها سهل اللاذقية .
2. السهول الداخلية: وهي شديدة الخصوبة ومنها سهول حلب وحماة ودمشق.
3. السلسلة الشرقية: سلسلة جبال تمتد حتى المملكة الأردنية جنوبا ومن أشهرها جبال الزاوية وبولدان وقلمون والدروز
4. السلسلة الغربية: تتصل بجبال تركيا شمالا وجبال لبنان جنوبا وهي وعرة كثيرة الغابات يصعب اجتيازها وتنحدر نحو السهول الساحلية.
5. بادية الشام: وهي قاحلة لندرة الماء فيها ومن أشهر واحاتها (تدمر) وتتصل بالعراق والسعودية والأردن والأطراف التي يرويها الفرات وروافده الخصبة .

المناخ: حار وجاف صيفا في معظم مناطق البلاد، في المناطق الساحلية حار ورطب ومعتدل في المرتفعات، أما شتاءا فبارد وماطر مع تساقط الثلوج على بعض المرتفعات. [2]

([1]) محمود السيد: المرجع السابق، ص35

([2]) محمد الصالح رمضان : جغرافية الجزائر والعالم العربي ، (د ط)، دار الكتاب ، الجزائر ، شارع العربي بن مهيدي الجزائر ، (دس) ، ص 140 ، 147

الأمطار: وتقل الأمطار بالاتجاه جنوبا و شرقا ففي اللاذقية نحو 15ملم ولكنها تنخفض في حلب إلى 16 ملم بينما تنخفض في دمشق إلى 25ملم وتلعب التضاريس دورا أساسيا في توزيع الأمطار بحيث نجد أن خطوط الأمطار المتساوية تسير متوازنة للنطاق الجبلي الغربي مع بعض الشذوذ ولاتفسر حالات الشذوذ هذه إلا بالتضاريس أيضا ، منها سقوط الأمطار غزيرة على جبل حرمون تبلغ 30 ملم مع أنه لايقع في الجهات الساحلية . (1)

فلسطيـــــــن :

تطل فلسطين على البحر الأبيض المتوسط وتتصل شمالا بسوريا ولبنان وشرقا الأردن وجنوب بالجمهورية العربية المتحدة (ونلاحظ عدم وجود حدود طبيعة تفصل بينها وبين الأقطار العربية فموقعها هام جدا، ومنذ أن اغتصب الصهاينة بعض أجزائها انقطع الاتصال المباشر بين كثير من الأقطار العربية، وأصبح مقصورا على الاتصال الجوي والبحري كما بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة مثلا) وسطح فلسطين عبارة عن سهول ساحلية تمتد من الشمال إلى الجنوب تليها المرتفعات، ثم المنخفض (ويسمى الأخدود أو الغور) .

1. السهل الساحلي: وهو أخصب جهات فلسطين وهو يضيق في الشمال ويتسع في الجنوب.
2. الإقليم المرتفع: ويشغل نحو ½ ساحة فلسطين، ويمتد الى غاية السهل الساحلي.
3. إقليم الغور: وبها الأخدود أو حفرة الانهدام وينخفض كثيرا من مستوى سطح البحر وتطل عليه المرتفعات بانحدار كبير من الجانب الشرقي والغربي. (2)

(1) محمد سعودي ، الوطن العربي(دراسة لملاحة الجغرافية) ،(دط)، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان، 1967، ص 320

(2) محمد صالح رمضان ، المرجع السابق ، ص 158 ، 159

إضافة في التقسيم الجغرافي لفلسطين:

أ. منطقة ساحلية على البحر المتوسط: وهي ضيقة جدا ولا تصلح كثرا لإنشاء المرافئ وتقوم على جوانبها تلال تتخللها سهول صغيرة.

ب. سلسلة جبال وسطى على جانب من الارتفاع في اليهودية جنوبا، حيث تصل إلى أكثر من ألف متر وتنخفض تدريجيا كلما اقتربت من الشمال، لكنها تعود ترتفع مجددا في أقصى الشمال قبل أن تمتد إلى لبنان .

وهناك منخفضات عربية تبرز ثلاث مناطق هي اليهودية والسامرة والجليل، وأهم هذه المنخفضات سهول يزرعيل التي يحدها غربا أنف جبل الكرمل.

ج. منخفض كبير: يقع فيه الأردن وبحر الأردن والبحر الميت وهذا المنخفض يتصل طرفه الجنوبي بوادي العربة المؤدي إلى خليج العقبة وهو امتداد لتصدعات البحيرات الإفريقية العظيمة، ويعد أعمق حفرة قارية على وجه الأرض، إذ يبلغ مستوى انخفاضه 390 مترا تحت مستوى سطح البحر.

المنـــــــــــاخ : يتميز مناخ فلسطين شكل عام بفترة جافة طويلة، نسبيا وان اختلفت باختلاف المناطق: أيام مشمسة جدا وأمطار تساقط خلال فترة وجيزة من السنة لا تستغرق أكثر من 3 أشهر، ونستطيع أن نميز بين أربع مناطق مناخية، معدل الأمطار فيها ينخفض من الشرق باتجاه الجنوب .

- من الشاطئ إلى التلال الوسطى : منطقة تسقى بمعدل متوسط، وتصلح المزروعات الخاصة بالبحر المتوسط، كالقمح والبقول والزيتون والكرم والفواكه.
- المنحدر الشرقي من سلسلة جبال اليهودية .
- منطقة شبه صحراوية تصلح لبعض المزروعات الموسمية وتربية الغنم [1]

([1]) عاطف عيد : قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم " فلسطين" ، ج ، 9 ،10 جميع حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر في جميع أنحاء العالم ، (دم) ، 1998، 1999 ، ص8 ،9

- بعض الواحات الخصبة الصغيرة المساحة . [1]

الأردن :

يقع الأردن في غرب القارة الأسيوية ويحده السعودية جنوبا، والعراق والسعودية شرقا وسوريا شمالا ، وفلسطين المحتلة غربا.

" سمي الأردن بهذا الاسم نسبة إلى النهر الذي يعبره والمسمى"نهر الأردن" فهو ينبع من منطقة جبال الشيخ ويشكل من ثلاث روافد تشكل منابعه الرئيسية، وهي الحاصباتي وبانياس والدان، ويتجه نحو الجنوب ليدخل بحيرة طبرية التي تنخفض إلى 209 متر تحت مستوى سطح البحر، يستمر اتجاهه نحو الجنوب ويلتقي بعدة روافد مثل نهر اليرموك ونهر الزرقاء بالإضافة إلى عدة أودية منها واد العرب، وواد اليابس، واد شعب ومن غربه يلتقي بأودية العوجا والقلط، ويصب في البحر الميت، الذي ينخفض 406م عن مستوى سطح البحر" وتنقسم الأردن إلـــــــــى :

أ. الضفة الغربية: أي فلسطين الغربية وهي منطقة جبلية، وضمت للأردن عام 1948م إثر اغتصاب الصهاينة لقسم من أرض فلسطين.

ب. الغور أو وادي الأردن: يمتد حتى سورية وهو شديد الانخفاض والخصوبة.

ج.الضفة الشرقية: وهي منطقة صحراوية، وفيها ترتفع سلسلة جبال أهمها جبال عجلون والسلط وتنبسط شرقي هذه الجبال السهول الصحراوية .

د. مناخ الأردن: هو حار جاف صيفا ومعتدل ماطر شتاءا ترتفع فيه درجة الحرارة وتقل كمية الأمطار كلما اتجهنا نحو الجنوب. [2]

([1]) عاطف عيد : المرجع السابق، ص 9

([2])هدى بوفرحات ، قصة وتاريخ الحضارات العربية (العراق والأردن) ، ج (9،10)، جميع حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر في جميع أنحاء العالم، (دم)، 1999/1998، ص 115

4- لبنـــــــان:

تقع لبنان في الطرف الغربي من قارة آسيا وعلى الشاطئ الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، يحدها من الشمال والشرق سوريا ومن الجنوب فلسطين ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط وتتكون تضاريسه من سلسلتين من جبال متوازيين شمال شرق وجنوب غرب وبينهما سهل واسع وخصب هو سهل البقاع وهاتان السلسلتان هما سلسلة جبال لبنان الشرقية ،وأهم جبالها جبل الشيخ أوحمون، وعلى ارتفاع قمة من 2814م

- سلسلة جبال لبنان الغربية وأهم جبالها القرنة السوداء على 3083م .
- جبل ضنين 2628م
- جبل باروك 1980م

أما سهل البقاع الذي يفصل بين السلسلتين فيبلغ طوله 120 كلم ويراوح عرضه بين 15كلم في الشمال و4كلم في الجنوب يبلغ متوسط ارتفاعه عن سطح البحر 900 متر وهناك سهول أخرى : ساحلية مثل :

- سهل عكار وطرابلس وجبيل وبيروت والدامور وصيدا وصور

و والداخلية مثل:

- سهل الحاصباتي ومرجعيون وتغطي الجبال ثلاثة أخماس من مساحة لبنان بينما تغطي السهول القسم الباقي من مساحته وهو خمسان .

أما مناخ لبنان فهو معتدل عموما، المناطق الساحلية حارة ورطبة صيفا، باردة ورطبة شتاء. المناطق الجبلية معتدلة البرودة وغزيرة الأمطار والثلوج شتاءا. [1]

([1]) عبد الوهاب الكيالي : الموسوعة السياسية ، ج5، ط2، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، 1990، ص534

ثانيا: الوجود العثماني في بلاد الشام

علاقات العثمانيين والمماليك:

قبل التطرق إلى العلاقات العثمانية المملوكية لابد من معرفة أسباب توجه العثمانيين لفتح بلاد الشام والأقطار العربية الأخرى ، وهذا الفتح لايرجع سببه فقط إلى تنازع الدولتين العثمانية والصفوية على النفوذ والتوسع في الشرق العالم العربي الإسلامي : وصراعهما المذهبي هناك، وإنما أهم من ذلك يرجع إلى الأحداث الدولية التي جرت وقت ذالك في أوروبا حوض البحر الأبيض المتوسط وانعكاساتها على كل من الدولة العثمانية والصفوية* والمماليك **، ذلك أن الفتح كان يرمي إلى ضمان السيادة العثمانية على حوض البحر المتوسط الشرقي وإبعاد نفوذ البندقية وجنوة، ومنع تجرم قراصنة البحر الأوروبيين وتأمين مواصلات الدولة العثمانية وبعث مجد الدولة الإسلامية السنية ضد خصومها جميعا من الأوروبيين والشيعة ***وكسر حصار المسحيين من إسبان وبرتغاليين لدار الإسلام وحماية الأماكن المقدسة من عبثهم وصدهم عن تهديد الدولة العثمانية نفسها ، نتيجة لتحالفهم مع الصفويين والأحباش وأخيرا الحصول على الموارد من بلاد الشام ومصر وغيرها من الأقطار العربية . [1]

([1]) أحمد طربين : التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا ؟ ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1987 ص 34

* الصفوية : إن أصل هذه السلالة من أذربيجان ، وتنسب إلى الشيخ إسحاق صفي الدين المتوفي في عام (734هـ /1334م) وهو ، شيخ طريقة صفوية انتقل إلى اردبيل في شمالي إيران ، ومن هذا الاسم ، صفي الدين ، أخذت السلالة اسمها السلالة الصفوية . أنظر محمد سهيل طقوش : تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب مع الخلافة ، دار النفائس ، بيروت، لبنان ، 2008 ، ص 152

** المملوكية : المماليك ، ومفرد " مملوك " بالعبودية والرق : لأنه يعني أن المملوك ملكية خاصة لشخص آخر ، ولقد كان المماليك من الرقيق فعلا : ببدأ فهم كانوا من نوع خاص من الرقيق إذ كانوا يجلبون أطفالا من أسواق النحاسية ثم يتم تدريبهم عسكريا ليكونوا بعدها حكام المنطقة العربية من الأيوبيين المتنافسين في غمرة الفوضى السياسية التي أعقبت وفاة السلطان ناصر صلاح الدين الأيوبي ، أنظر : قاسم عبده قاسم : عصر السلاطين والمماليك (التاريخ السياسي والاجتماعي)، ط1 عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1998 ، ص25

*** الشيعة : هم الذين شايعوا عليا عليه السلام في إمامته ، واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج عن أولاده، قالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين ولابد أن يكون الرسول قد نص على ذلك صريحا وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة.أنظرمحمد فريد وجدي: دائرة المعارف القرن العشرون، المجلد الخامس ، دار الفكر ،بيروت، البنان،ص424

وسبب آخر هو يبدو أن الدولة العثمانية أحست بواجبها بضرورة الدفاع عن المناطق الإسلامية ، بعد أن لمست عدم قدرة المماليك على مواجهة البرتغاليين أثر على هزيمتهم في معركة ديو البحرية عام 1508 م وعدم قدرة الأسطول المملوكي الخروج من البحر الأحمر مما أدى إلى ضعف الدولة المملوكية وركود تجارتها مع الهند والدولة العثمانية أرادت أن تجعل من البحر الأبيض المتوسط بحيرة عثمانية والسيطرة على الطرق البرية والبحرية التي كانت تربط الشرق بالغرب آنذاك، لتكون دعامة اقتصادية ضخمة بزيادة دخل الدولة من الضرائب والمكوس على التجارة العابرة في هذه الطرق التجارية ، بالإضافة إلى تنبه الدولة العثمانية إلى محاولات التعاون بين البرتغاليين والحبشة للإستلاء على الحجاز ولذلك بدأت تتطلع الدولة العثمانية إلى احتلال الوطن العربي وبخاصة بعد هزيمة الصفويين في جالديران عام 1514 م

- كانت العلاقات العثمانية المملوكية ودية في بداية الأمر وكثيرا ما تبادل حكام البلدين الهدايا في المناسبات، كما أن المماليك كانوا يحتفلون عندما ينتصر العثمانيون على أوروبا ولكن العلاقات بينهما كانت تسوء أحيانا فقد تنازع الطرفان حينما استولى المماليك على قبرص عام 1485 م، عندما التجأ الأمير العثماني جم منافس السلطان بايزيد الثاني على العرش إلى دولة المماليك والعثمانيين على زعامة العالم الإسلامي، ودعم المذهب السني لمواجهة خطر انتشار المذهب الشيعي ، فتوترت العلاقات بينهما، وزاد خوف المماليك عندما غزى العثمانيون الأراضي الصفوية عام 1541م، فتظاهر قانصوه الغوري بالحياد وحاول التوسط بين العثمانيين والصفويين، إلا أن العثمانيين لم يقبلوا ذلك، كما حاول التحالف سرا مع الصفويين، فعلم السلطان سليم الأول بذلك، وفي جوان 1515م قضى[1] العثمانيون على إمارة ذي القادر التركمانية الموالية للمماليك والواقعة في أعالي الفرات بين الأراضي

([1]) محمد عبد الله عودة ، إبراهيم ياسين الخطيب : تاريخ العرب الحديث ، (دط) ، دار الأهلية ، عمان ، الأردن ، 1989 ، ص 23

العثمانية والمملوكية، وذلك لأن أميرها علاء الدين حاول عرقلة الجيش العثماني الزاحف لغزو فارس وبذلك أصبح العثمانيون يطوقون ممتلكات المماليك في شمال الشام فتأزمت العلاقات بين الدولتين ،وشجع كل طرف منهم الخارجين على الدولة الثانية فأصبحت الحرب بين الدولتين لا مفر منهـــــــا. [1]

التوســـع العثمانـــي في بلاد الشــــــام:

بعد أن ساءت العلاقات بين كل من الدولتين(العثمانية والمملوكية) : لجأ كل من الطرفين إلى تنفيذ الأساليب التي تضعف قوى الطرف الآخر، كالاتهام بخيانة الجهاد ضد أوروبا، كم اتهم العثمانيون المماليك بخيانة العالم الإسلامي، كذلك اتهم المماليك السلطان سليم الأول، الذي لقبوه " **بملك الروم** " أعوانا لـــه وبالارتداد عن الدين الحنيف والسنـــة .

وكسب كل طرف أعوانا له من بين رجالات الطرف الآخر، فتحولت اسطنبول والقاهرة إلى ملجأ سياسي لكل زعيم من غضب سلطانه، لكن إفادة السلطان سليم الأول* من اللاجئين إليه من المماليك كانت أكثر من إفادة السلطان الغوري من اللاجئين إليه من العثمانيين حيث إن تفكك الداخلي في الدولة المملوكية كان يعطي السلطان العثماني فرصا أفضل للإفادة المثمرة، على عكس الجهة الداخلية العثمانية الصلبة واستطاع العثمانيون جذب بعض كبار رجال المماليك، أمثال يونس بك، والي عينتاب، وخيربك نائب حلب، التي تعد خط الدفاع الأول عن الشام ومصر في حين لم يستفد الغوري من الذين لجأواإليه من العثمانيين سوى إفادة معنوية، ما أدى إلى استنزاف المقاومة المملوكية وفقدانها حيويتها [2] وما إن تأمنت

([1]) محمد عبد الله عودة : المرجع السابق ، ص23 ، 24

([2]) محمد سهيل طقوش : تاريخ العثمانيين (من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة) ، ط2 ، دار النقاش ، بيروت ، لبنان ، 2008، ص 167

* سليم الأول : سلطان عثماني(1516- 1520) خلع أباه بايزيد وقتل أخوته وأجلس نفسه على العرش ، بدأ حكمه بقتل نحو أربعين ألفا من الشيعة ، ثم هاجم إسماعيل الصفوي شاه فارس 1514 وضم ديار بكر وكردستان ، ثم حول أنظاره إلى سوريا ومصر فانتصرعلى السلطان الغوري في معركة مرج دابق 1516 ، وتقدم نحو مصر ، حيث انهزم السلطان طومانباي في معركة الريدانية 1517 ،ونزل له الخليفة العباسي محمد الموكل على الله الثابت عن الخلافة ، وبذلك جعل سليم نفسه خليفة المسلمين وورث خلفاؤه من آل عثمان هذا اللقب ، ثم فتح مكة والمدينة ، مات وهو يتأهب بغزو جزيرة رودس ، كان سليم إداريا قديرا ومقاتلا جريئا ، ولكنه كان أيضا شديد البطش والدهاء أنظر علي مولى : الموسوعة العربية الكبيرة ، ط1 ، المكتبة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2010 ،ص 1880

جميع منافذ بلاد الجزيرة وشمالي العراق ومسالكها من خلال السيطرة العثمانية عليها، تحرك الجيش العثماني عبر الأناضول في أوائل 922هـ /ربيع 1516م بقيادة السلطان وتعدادها ستون ألف مقاتل وثلاثمائة مدفع، وتتم وجهة شطر بلاد الشام، ولما علم الغوري بأنباء تحرك العثماني، حرك هو الآخر جيشه الذي خرج به من القاهرة وقد بلغ تعداده، ثمانين ألف جندي، والتقى الطرفان في مرج دابق*(شمالي حلب) في (25 رجب 922هـ/24 أفريل1516م) ودارت بين الجيش رحى معركة عنيفة استمرت أقل من ثماني ساعات أسفرت عن انتصار واضح للعثمانيين، ولم يصمد المماليك أمام مدفعية هؤلاء المتوفقة وانتحر السلطان الغوري أثناء انهزام الجيش، حيث تناول السم عندما علم بنتيجة المعركة ،ووقع عن حصانه بعد أن فقد وعيه ومات على الفور، ومما يجدر ذكره أن انسحاب كل من خيربك نائب حلب، وجان بردي الغزالي نائب حماة من الجيش الغوري وانضمامهما إلى صفوف السلطان سليم الأول، كان من العوامل التي أثرت على نتيجة المعركة. استثمر السلطان سليم الأول انتصاره هذا وضم حلب وحماة وحمص ودمشق، وكان السكان يرحبون به ويحتفون بمقدمه بصورة لم يألفها أي سلطان عثماني من بعد وعين السلطان على هذه المدن ولاة من طرفه واستقبل في دمشق وفودا من العلماء، فأحسن وفادتهم وفرق الإنعامات وأمر بترميم المسجد الأموي وقبري صلاح الدين الأيوبي والشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما شيد مسجدا باسمه ولما صلى الجمعة أضاف الخطيب هذه العبارة" خادم الحرمين الشريفين ". [1]

([1]) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 168

* مرج دابق : المرج : الأرض الواسعة فيها نبت كثير، تمرج فيها الدواب ، أي تذهب وتجيء.
دابق : بكسر الباء وقد روي بفتحها ، وآخره قاف ، قرية قرب حلب من أعمال عزاز منها حلب أربع فراسخ عندها مرج معشب نزه ، وعزاز تبعد عن حلب 45 ميلا ، جعلت مركز قضاء سنة 1340 هـ ، تولاها قائم ملحق بحلب ، ودابق من الأماكن المشهورة في قضاء عزاز.
نقلا عن الجوهري : دابق اسم بلد ،و الأغلب عليه التذكير والتأنيث والصرف ، لأنه في الأصل اسم نهر وقد يؤنث ، وكان بنو مروان يزيلونه إذ غزو إلى ثغر المصيصة في شمال بلاد الشام ولم يزل هذا الاسم (مرج دابق) باقيا إلى عصرنا هذا ، أنظر محمد علي الأحمد : سقوط الخلافة عرب بلاد الشام والدولة العثمانية ؟ ، ط 1 ، دار الإسراء ، عمان ، الأردن ، 2007 ، ص67

التنظيمات العثمانية الإدارية في المنطقة

التنظيمات الإدارية في بداية الأمر حافظ العثمانيون على التقسيم الإداري المملوكي لبلاد الشام الذي قسمها إلى ست مقاطعات، أطلق على كل واحدة اسم نيابة، ولما فتح السلطان سليم الأول هذه البلاد قسمها إلى ثمانية سناجق رئيسية، حلب، دمشق، حمص طرابلس، القدس، وعين عليها حكاما أتراك، وهكذا نلاحظ أن سليم الأول اتخذ الوحدة الإدارية العثمانية (السنجق) بدلا من الوحدة الإدارية المملوكية نيابة، إلا أن الأمور تغيرت في عهد سليمان القانوني*، الذي أعاد النظر في الحدود الترابية والجغرافية وفي صلاحيات الحكام المقاطعات وذلك لاعتبارات سياسية بحتة، فوضع نظاما جديدا للإدارة في بلاد الشام ومرد ذلك تلك الثورة التي تزعمها نائب السلطان على بلاد الشام جان بردي الغزالي الذي حاول أن يجر في فلكه والي مصر خايربك، ومن الأمور التي رعاها السلطان سليمان في وضع قانونه هذا، أنه احتفظ بنفس سمات القانوني المملوكي، مع الإقرار والاعتراف بالعصبيات البدوية والتركمانية والدرزية في مناطقها والاعتراف لزعمائها بالإشراف على أتباعهم وجمع المال منهم، وبموجب هذا القانون قسمت بلاد الشام إلى أربع ولايات: ولاية الشام، ولاية حلب، ولاية طرابلس، ولاية صيدا، وكانت ولاية الشام أهم هذه الولايات لامتداد مساحتها الترابية، ومركزها الاستراتيجي والروحي، واستمر هذا التقسيم حتى الاجتياح المصري لبلاد الشام ،إذ عرف عدة تطورات بين 1832- 1840، وقد حرصت الدولة العثمانية على أن تفصل بين هذه الولايات وتمنع أي تقارب قد يهدد وجودها أما المناطق الجبلية فقد كانت هذه الولايات وتمنع أي تقارب قد يهدد وجودها، أما المناطق الجبلية فقد كانت علاقتها بالسلطة المركزية ،فالمنطقة الشمالية مثل عين تاب وملاطية وبهنى وقلعة الروم، كانت تحت سيطرة أمراء [1]

([1]) الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288- 1916) ، (دط) ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2007 ، ص 81 .

* سليمان القانوني أو الأول (1494-1566) : سلطان عثماني (1520-1566) ، خلف أباه سليم الأول (1520) بلغت عهده الإمبراطورية العثمانية أوج قوتها واصل فتوح أبيه في البلقان فأستحوذ على بلغراد 1521 وحاصر فينا 1525 .. الخ وغيرها من الفتوحات ، كان حكم سليمان بوجه عام معتدلا ، وكان ينفق بسخاء على رجال الفن والأدب ، أنظر علي مولا : الموسوعة العربية الميسرة: ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2010 ص 1881 .

وراثيون في إقطاعيتهم تعودوا الحياة المتنقلة ونظموا شؤونهم الإدارية تنظيما عشائريا ينسجم مع طبيعتهم الجبلية ونمط حياتهم القبلي، ومن المناطق التي سرى عليها تنظيم غير التنظيم الإداري العثماني العادي منطقة لبنان فقد كان هذا الأخير تحكمه أسر إقطاعية مثل بني عساف في كروان، وبني سيفان في طرابلس، وآل أرسلان في الشوف، وبني حرفوش في البقاع، وكان الحكم وراثيا في مناطقهم، ثم قامت أسرة المعنيين، وأسست لنفسها إمارة قوية، بفضل الأمير فخر الدين المعنى وأقام الشيخ ظاهر العمر في صفد و عكا، بفلسطين كيانا مستقلا فترة من الزمن.(1)

أما المناطق الجنوبية من بلاد الشام فقد كانت تحت سيطرة القبائل البدوية العربية، هذه القبائل التي فشلت الإدارة العثمانية في إخضاعها رغم الإمكانيات التي سخرتها لذلك، لهذا أعفاها السلطان من الضرائب ومنح لشيوخها استقلالهم السياسي والاقتصادي. (2)

بالإضافة إلى التنظيمات الإدارية في بلاد الشام، فكانت بلاد الشام تقسم إلى ثلاث ولايات هي: حلب في الشمال ودمشق في الجنوب وتشمل بعض الساحل وطرابلس التي تمتد على مابقي من الساحل، وتقسم الولاية إلى ألوية (سناجق)* وعلى رأس كل لواء (سنجقدار) وينقل الحصري عن علي أفندي الذي كان أمينا عاما لدفتر الديواني:بحيث في عام (1018هـ/1609م) أي في عهد السلطان أحمد الأول ابن محمد الثالث كانت تقسم حينذاك إلى 32 إيالة ، ولم يكن في هذه التقسيمات الإدارية تميز في البلاد العربية عن غيرها إداريا ومنها هذه الإيالات التي تخص بلاد الشام(3)

(1) الغالي غربي : المرجع سابق ، ص 82

(2)إسماعيل أحمد ياغي ، العالم العربي في تاريخ الحديث ، ط،مكتبة العبيكان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1997 ، ص 83

* سنجق : وتعني لغة الريا ، العلم، ، اللواء، الرمح : وفي الاصطلاح كانت تطلق على أصغر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية مثل سنجق القدس أنظر: حسان حلاق ، عباس صبان: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكة والعثمانية ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان 1999 ،ص 120

(3) محمد علي الأحمد : سقوط الخلافة عرب بلاد الشام والدولة العثمانية ؟ ،ط، دار الإسراء، عمان ،الأردن ، 2007 ، ،ص74 ، 75

1- إيالة (ولاية)* الشام تقسم إلى 11 لواء وهي : لواء دمشق، لواء القدس الشريف، لواء غزة ، لواء صفد، لواء اللجون ،لواء نابلس، لواء عجلون، لواء صيدا مع بيروت، لواء كرك مع شوبك، لواء عكا، 2 - إيالة (ولاية) طرابلس الشام، 3- إيالة (ولاية) حلب 4- إيالة (ولاية) الرقة أو الرها ويبدوا أن بعض التعديلات الإدارية، كانت تطرأ على تلك التقسيمات بين الحين والآخر حيث يشير بيهم إلى أن بلاد الشام كانت في بداية القرن الثامن عشر، تقسم إلى خمس باشويات (نسبة إلى باشا)** هي :1. الشام ، 2. صيدا، 3. فلسطين، 4.طرابلس، 5. حلب هذا عدا إيالة تدمر، وإيالة عجلون، وهي الملحقة بباشاوية فلسطين، وكان لكل إيالة مجلس شوري يتألف من كبار العلماء (علماء الشريعة) والموظفين والأعيان ،ويرأسه نائب السلطنة، وله الإشراف على الشؤون المالية والإدارية، أما القضاء، فكان منوطا بالقضاة الشرعيين ماعدا الدعاوي الجنائية والجزائية، فكانت من اختصاص الموظف المسمى (قاضي باشا) وهو من قادة الجند ، ويليه في حق استماع هذه الدعاوي (التمكجي باشا) وهو كرئيس الضباط. [1]

([1]) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 75

** إيالـة : هي معناها الولاية إحدى التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية . أنظر حسان حلاق وعباس صباغ : المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية ، ط ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1994 ، ص 29

** باشـا : أطلقها العثمانيون على وزرائهم وكبار رجال الدولة إدارة دولتهم كلقب رسمي يعطي لحكام الولايات والوزراء، أنظر حسان الحلاق وعباس صباغ ، المرجع نفسه ص 34

الفصل الأول

سياسة عبد الحميد الثاني الإدارية والسياسية والعسكرية

- المبحث الأول: الإصلاحات الإدارية

المطلب الأول: التقسيمات الإدارية لأقاليم بلاد الشام

المطلب الثاني: إعلان الدستور 1876

المطلب الثالث: الإصلاحات في ميدان القضاء

- المبحث الثاني: الإصلاحات السياسية

المطلب الأول: الجامعة الإسلامية

المطلب الثاني : سياسته إتجاه العرب

المطلب الثالث: سياسته إتجاه الحركة الصهيونية

- المبحث الثالث: الإصلاحات في الميدان العسكري

المبحث الأول : الإصلاحات الإدارية

حين اعتلى عبد الحميد الثاني* (انظرالملحق رقم 2) العرش كانت البلاد العربية الخاضعة له في آسيا هي بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية والأناضول، فلما طبق النظام الإداري على بلاد الشام قسمت هذه المنطقة بجميع ما يتضمنه اسمها، من مدلول جغرافي إلى ولايتين اثنين وسنجق واحد، ولكن التجربة دلت على أن هذا التقسيم متداخل بسبب الارتباك، فاستبدل به نظام آخر في عام 1887م، قسمت بلاد الشام بمقتضاه إلى ثلاث ولايات وسنجقين اثنين هي ولاية حلب في الشمال وولاية بيروت في الغرب وولاية سورية في الشرق وسنجق لبنان الذي فصل عن ولاية بيروت ليؤلف وحدة إدارية خاصة، وسنجق القدس في الجنوب وكان أيضا ذا كيان إداري متميز. (1)

المطلب الأول: التقسيمات الإدارية لأقاليـــــم بلاد الشام

بمقتضى التنظيم الإداري الذي تم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني*، ظلت سورية حتى انتهاء العهد العثماني منقسمة إلى ثلاث ولايات (سورية، حلب، وبيروت) (أنظر الملحق 3) ومتصرفين مستقلتين عن الولاية مرتبطتين مباشرة بوزارة الداخلية أسوة بالولايات هي القدس وديرالزور بينما كان جبل لبنان مستقلا استقلالا إداريا تاما، بإشراف الدول الأوروبية العظمى الست ومرجع حاكمه الإداري المسمى متصرفا وهومقام الصدارة العظمى. (2)

---

(1) جورج أنطونيوس : يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية)، ترجمة ناصر الدين وإحسان عباس ، ط8، دار العلم للملايين 1989.، ص 132، 133

* السلطان عبد الحميد الثاني : ولد السلطان عبد الحميد الثاني في 16شعبان1285ه/21 سبتمبر1842م والده هو السلطان عبد المجيد وأمه تيرمز كان قادين أفندي ،اعتلى عرش السلطنة العثمانية في آخر أوت 1876،عقب أخيه الأكبر مراد الخامس ،واستمر في حكم الدولة العثمانية لمدة بلغت 33عاما ثم خلع عن العرش في 27 افريل1909 وامضي بقية حياته في سلانيك ثم في قصربكلرسكي باسطنبول إلى أن توفي في العاشر من فيفري1918.أنظر مذكرات أميرة عائشة عثمان أوغلي والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تقديم أكمل الدين حسان وإحسان عباس، ط1، دار البشير، عمان، الاردن ص11 .

(2) مسعود الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية (القارات، المناطق، الدول، البلدان، المدن) ج10 ، مؤسسة هانيا، بيروت لبنان ،(دس) ،ص 67

1/ ولاية سوريا: مركزها دمشق، وشملت متصرفيات حماه وحوران والكرك (البلقاء التي كانت تشمل حدود المملكة الأردنية الحالية) والأقضية الحالية النبك وجيرود، ودوما والزبداني والقنيطرة وقطنا (وادي العجم) والأقضية الأربعة التي سلخت عن سورية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وألحقت بلبنان وهي البقاع (مركز إدارته بلدة المعلقة المعروفة بين الأهالي بمعلقة زحلة) وأقضية بعلبك وراشيا وحاصبيا.

2/ ولاية حلـــــب: ومركزها مدينة حلب وضمت فوق أقضيتها الحالية حافظة أدلب الحالية ومنطقة اسكندرون بكاملها(كانت مقسمة آنذاك إلى قضائيين كبيرين هما أنطاكيا وإسكندرونة) ومناطق مرعش وعينتاب وكلس وغيرها من المدن والقرى التي كانت مأهولة وغيرها من المدن.

3/ ولاية بيروت: مركزها بيروت وشملت علاوة على أقضيتها الثلاثة (صيدا وصور ومرجعيون) متصرفات اللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس، بماحواه كل من أقضية ومديريات.

4/ متصرفية القدس المستقلة: وشملت مدينة القدس وضواحيها والنواحي الملحقة بها مباشرة كمدينة يافا وغزة والخليل وبئر السبع، بل معظم حدود فلسطين حتى حدود مصر باستثناء حيفا وعكا وغيرهما من مدن الجليل التي كانت مع لواء نابلس ملحقة بولاية بيروت.

5/ متصرفية دير الزور: وتضم الآن محافظات الجزيرة والفرات والرشيد. [1]

أما فلسطين فكانت تقسم كوحدة إدارية إلى المناطق التالية :

1/ في الشمال: متصرفية عكا تشمل أقضية: حيفا و طبريا و صفد ومتصرفية نابلس وتشمل قضائي جنين وطولكرم، وكلها تتبع ولاية بيروت.

2/ في الجنوب: متصرفية القدس الشريف المستقلة وتشمل أقضية: القدس ويافا وغزة الخليل وبئر سبع وتخضع مباشرة للحكومة المركزية في الأستانة . [2]

---

(1) مسعود الخوند : المرجع السابق ، ص 68

(2) حسان حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 – 1909 ، ط2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص 67

وكانت هذه المتصرفيات والأقضية تخضع لوال عثماني يعين من قبل السلطان وكان على رأس الإدارة في كل سنجق متصرف وفي كل قضاء قائمقام،و في كل ناحية مدير ناحية وكان يسمى المتصرف سنجق بك أو باشا ومن ذلك جاءت كلمة باشليك الاسم التركي للولاية.

وكانت القدس تبعا لاستقلالها وأهميتها تقيم علاقتها، واتصالاتها مباشرة مع وزارة الداخلية العثمانية دون أن تتبع أية ولاية من الولايات، ونظرا لأهميتها عرفت متصرفية القدس في فترة التنظيمات العثمانية في القرن التاسع عشر، إنشاء أول بلدية في القدس عام (1883م)، وتم تحويل (سنجق القدس) إلى سنجق مستقل يرتبط أساسا باسطنبول وتم تحديث الجهاز الإداري وإنشاء مصالح حكومية جديدة وإصلاح محاكم وتحسين أوضاع الأمن في المدينة وانجاز أعمال عمرانية (كل هذا سيتم شرحه لاحقا). [1]

أما منطقة شرق الأردن فلم تكن لها أهمية، باستثناء كونها منطقة عبور للحجاج تسكنها قبائل منفصلة لا يحكمها نظام، لذلك أعلنتها الدولة العثمانية متصرفة قائمة بحد ذاتها وربطتها إداريا بالباب العالي مباشرة، كما عينت عددا من الشيوخ القبائل الأردنية في مناصب إدارية مختلفة، وقدمت لهم رواتب شهرية من شيوخ على استتباب الأمن بالمنطقة ثم ربطت إداريا بسوريا، وأصبحت تعتبر المحافظة الجنوبية لسورية ومحافظها علي رضا رشيد الركابي * [2]

([1]) حسان حلاق : المرجع السابق ،ص 68

* علي رضا رشيد الركابي : ولد عام 1886 في دمشق لتفوقه بالدراسة أرسل إلى المدرسة الحربية في الأستانة بعد تخرجه من المدرسة الحربية ، عين قائدا للجيش التركي في القدس ، ووكيلا لمتصرفها وتدرج بالرتب والمناصب حتى رفع إلى رتبة لواء ، توفي عام 1942 ، أنظر : خالد السيول الهاشميون من حكم الإمارة العثمانية إلى تأسيس الممالك العربية ، ص 37

([2]) خالد السيول : الهاشميون من حكم الإدارة العثمانية إلى تأسيس المماليك العربية ، ط ، دار الأهلية ، عمان ، الأردن 2011 ، ص 162 ، 163

الرقم	اللواء	القضاء	الناحية
01	لواء البلقاء ،مركزه السلط،ويتبعه كل من:	قضاء عمان ، قضاء مأدبا	ناحية زيزياء
02	لواء حوران مركزه درعا ويتبعه كل من :	قضاء عجوان،قضاء إربد قضاء جرش، قضاء أذرح، قضاء المسمية، قضاء بصرى	
03	لواء الكرك ومركزه الكرك ويتبعه كل من :	قضاء طفيلة ،قضاء معان ، قضاء العقبة	ناحية العراق، الكرك ، ذيبان، تبوك، ناحية الشوبك

ويرجع اهتمام العثمانيون بالأردن ، لسببين هما:

1/ مرور طريق الحج الشامي في أرضيه. 2/ لأنه طريق مهم لقوافل التجارة، لذلك وجه العثمانيون اهتمامهم إلى الأردن فبنو القلاع، وبرك الماء والخزانات وغيرها على طول طريق الحج، واهتموا بتأمين سلامة الحجاج وسلامة مرور القوافل التجارية ،ودفع العثمانيون الأموال لشيوخ القبائل التي تقطن المنطقة كي يضمنوا ولائهم، ومحافظتهم على امن هذا الطريق. وقد قسم العثمانيون الأردن إلى عدة مناطق:

قضاء البلقاء: تمتد حدود هذا القضاء من وادي الزرقاء جنوبا إلى نهر اليرموك شمالا وتعد مدينة إربد من أكبر مدنه هذا القضاء وهي مركزه أيضا، وقد أسند العثمانيون أحيانا تبعية هذا القضاء إلى متصرفة نابلس بفلسطين خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي.

قضاء عجلون: تمتد حدود هذا القضاء من وادي الزرقاء ،جنوبا إلى نهر اليرموك شمالا وتعد مدينة إربد من أكبر مدنه وهي مركزه أيضا، ومن مدن هذا القضاء مدينة علجون ومدينة جرش.

قضاء الكرك: يشمل هذا القضاء القسم الجنوبي من بلاد الأردن، وتمتد حدوده في المنطقة الواقعة بين وادي السرحان شرقا ووادي العربة غربا ، ومن وادي الزرقاء شمالا إلى مدائن صالح جنوبا، ومدينة الكرك هي مركزه، ويعتبر هذا القضاء واسع نسبيا وذو موقع استراتيجي. [1]

([1]) الموسوعة العربية العالمية ، الجزء الأول ، ط2 ، مؤسسة أعمال الموسوعة ، الرياض المملكة العربية السعودية، 1999 ، ص 492

أما بالنسبة للبنان فقد أصبحت وفقا للبروتوكول أودستور عام 1864م متصرفة تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي في ظل الدولة العثمانية التي كانت تدير شؤونها المالية والسياسية مركزيا واستمر عهد المتصرفية حوالي نصف قرن أي إلى الحرب العالمية الأولى1914.[1]

ملاحظة :

ولقد كانت المناطق اللبنانية والسورية والفلسطينية متداخلة فيما بينها سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وبالرغم من هذا التداخل فإن أن الدولة العثمانية لم تعمد إلى ترسيم الحدود بين ولاياتها ومقاطعاتها بالمعنى الكياني لكل ولاية أو مقاطعة، غير أن الفرمانات السلطانية حددت الألوية والسناجق والأقضية التابعة لكل ولاية وقد أشير في فرمان ولاية بيروت أن مناطق قضائي مرجعيون وحاصبيا وقرى العرقوب، ومزارع شبعا هي تابعة للولاية عام 1861م ثم أعيدت مناطق البقاع، ووادي التيم، بما فيه مناطق حاصبيا وراشيا إلى لبنان الكبير عام 1920م. [2]

المطلب الثاني : إعلان الدستور 1876

عندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم، كان الموضوع الذي انشغلت به الأوساط السياسية وأوساط المثقفين العثمانيين هو إقامة حكم دستوري، و كان رأي الصدر الأعظم مدحت باشا* هو أنه إذا تحقق الحكم الدستوري، وتشكل مجلس يعترف بوضع جديد للمحليين ووضعت الضمانات الدستورية للمساواة بين رعايا الدولة، دون النظر إلى أديانهم، فلا شك أن ذلك سوف يخفف من وطأة الضغوط الدبلوماسية، التي تمتاز بها الدول الأوروبية على الدولة العثمانية، وقبل انعقاد مؤتمر الترسانة كان بعض المثقفين ورجال الدول يؤيدون هذا الرأي، غير أن القصد من إعلان الدستور لم يكن دبلوماسيا محض، بل كان هناك حاجة ماسة لربط إدارة الدولة وعجلة القرار السياسي بمبادئ، ونظم محددة على أسس اجتماعية [3]

([1]) محمد مظفر الأدهمي : تاريخ الوطن العربي الحديث (المنهج والوقائع)، ط، عمان، الأردن، 2010 ، ص244

([2]) سامية محمد جابر : قضايا العالم العربي ، ط1، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص 213

([3]) مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي : والدي السلطان عبد الحميد الثاني ، نقلها على العربية صالح سعداوي صالح وقدمها أكمل الدين إحسان أوغلي ، ط1 ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، 1991 ، ص19 ، 20

* مدحت باشا: ولد مدحت باشا في اسطنبول عام 1238هـ/1822م ، ونشأ مدحت في حجر أبيه نشأة دينية ، لحفظ القرآن وهو العاشرة واستحق لقب الحافظ ليصبح اسمه الحافظ أحمد شفيق ، أما اسم (مدحت) الذي غلب عليه فهو اسم ديواني سمي به بعد أن التحق بالديوان الهمايوني ، حيث أتقن الخطأ الديواني في ستة أشهر ، وبرز بين رجال العلم في الأستانة ، وتاقت نفسه للثقافة الحديثة فطابع بنفسه كتب العلوم العصرية ، ولما جاوز الخامسة والثلاثين سافر إلى أوروبا 1856 بقي 6أشهر فتعلم اللغة الفرنسية أنظر عبد الجليل التميمي : الولايات العربية مصادرها ووثائقها في العهد العثماني منشورات مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني ص 345

أكثر صلابة عن طريق المشاركة التي تتوفر لنواب الشعب في صياغة القرار السياسي وفي مثل هذه الظروف الداخلية والخارجية أصدر السلطان عبد الحميد الثاني، أول دستور للدولة العثمانية عرف وقتها بالقانون الأساسي، وعرفت الفترة التاريخية التي واكبته باسم: عهد المشروطية الأول: وقد أعلن هذا القانون الأساسي بعد جهود مكثفة عام(1876) وكان من أخص خصائصه إتباع صلاحيات الممنوحة للسلطان، ورغم أن مبادئ العمل في إدارة الدولة قد تم تحديدها ووضعت الضمانات التي تؤكد حياد المؤسسات القضائية، وتحمي حقوق الإنسان الأساسية، إلا أن دستور 1876، جعل السلطان خلال هذا الإطار العام هو المصدر الوحيد للسلطة.

وكان المجلس قد اجتمع في دورتين: أحدهما بدأت في 19 مارس، وانتهت في 27 جوان عام 1877م، والثانية بدأت في 31ديسمبر 1877م، واستمرت حتى 14 فيفري1877م وقام النواب القادمون من شتى الولايات الدولة خلال الدورة بأعمال إيجابية،ثم زادت دورة ثانية التي صادفت الحرب العثمانية الروسية، عدة انتقادات حتى شملت السلطان نفسه، غير أنه لا السلطان ولا الغالبية العظمى، كانوا قادرين على هضم هذه الأمور، بالإضافة إلى المنافسات التي كانت تدور بين النواب المسلمين والنواب المسحيين، تحولت خلال التوترات التي أسفرت عنها الهزيمة في الحرب العثمانية الروسية إلى صدامات عنيفة من حين لآخر وصلت إلى حد تهديد وحدة الدولة، مما جعل السلطان يستخدم صلاحياته لحل المجلس. [(1)]

أما النصوص التي نص عليها الدستور: فتتمثل في أن الشخص السلطان مصون ولا يمس. أي أن السلطان ظل فوق القانون، وظلت سلطاته كما هي لاتتغير فهو صاحب القرارات العليا، وبيده تعيين الوزراء وإقالتهم ،وهو الذي يعقد المعاهدات والاتفاقات ويعلن الحرب والصلح وغيرها، أعطى الدستور أفراد البرلمان العثماني الحرية في البوح بآرائهم وأفكارهم على ألا يتعارض ذلك مع قوانين مجلس البرلمان وصلاحياته وحدد الدستور اللغة التركية لغة رسمية للدولة، وأصبح من الضروري أن تقرأ ميزانية الدولة من قبل أعضاء البرلمان دون تدخل من أحد حتى من السلطان نفسه، ونص الدستور على العثمنة [(2)]والمساواة لكل رعايا الدولة دون استثناء وأن يتمتع الجميع بالحرية الشخصية، ونص الدستور على

---

(1) مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي: المصدر السابق، ص21،22

(2) عبد الفتاح حسن أبو علية : الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير ،ط ،دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2008، ص362، 363

استقلال القضاء وظلت المحاكم الشرعية ومحاكم الملل بغير المسلمين، ماثلة بحل القضايا الدينية بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين. استنادا إلى مبدأ العمل بالدستور الجديد، جرت انتخابات لاختيار مجلس النواب العثماني (مجلس المبعوثان)، ولم تكن الانتخابات التي أجريت بمثابة انتخابات عامة يشارك بها جميع رعايا الدولة شخصيا، وإنما شكلت في كل الولايات والمحافظات العثمانية وتوابعها مجالس انتخابية، تمثل السكان وقامت تلك المجالس بانتخاب النواب. تم تشكيل برلمان عثماني عرف باسم مجلس المبعوثان حصل فيه المسلمون على(72) مقعدا من اصل (120) مقعد، وحصل النصارى على (44) مقعد، وحصل (اليهود) على 4 مقاعد. [1]

المطلب الثالث : إصلاحات في ميدان القضاء

في الحقيقة أن الإصلاح القضائي لم يكن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني مطلبا جديدا لقد أثير هذا المطلب منذ عهد التنظيمات ورؤى آنذاك ضرورة العمل على اتخاذ إجراءات لإصلاح ودعم الأجهزة القضائية التي تعددت أنواعها واتسمت بالتشابك في اختصاصاتها وبالتقارب أحيانا في تطبيق القوانين وتنفيذ الإجراءات القانونية، فكانت هناك المحاكم النظامية والمحاكم القنصلية والمحاكم المختلطة التجارية والمحاكم الشرعية للمسلمين والمحاكم المالية، وكانت هذه المحاكم تتبع وزارات مختلفة وفقا لاختصاصاتها، وكانت وسيلة السلطان عبد الحميد الثاني لتحقيق الإصلاح القضائي، تتمثل في إصدار تشريعات قضائية جديدة تجعله بعيدا عن كل نقد من جانب الدول الأوروبية، فأنشأ مدرسة الحقوق السلطانية في عام(1878م) لإعداد رجال القانون وقد ألحقت في عام (1900م) بجامعة اسطنبول، كما ذكرنا واستعانت الدولة بالمتخرجين فعينتهم في المحاكم النظامية، وأعاد تنظيم وزارة العدل فأضحت تشرف على القضائيين المدني والجنائي، بإنشاء المحاكم الشرعية التي ظلت تابعة لشيخ الإسلام ووضع السلطان برنامجا للإصلاح القضائي، وطلب من وزارة العدل اتخاذ الإجراءات لوضع قوانين تشمل عمل المحاكم المدنية وتحديد اختصاصاتها وإعداد لوائح لتنفيذها الأحكام القضائية وتعين مفتشين قضائيين في كل ولاية ومدعيين عامين في محاكم الاستئناف في الولايات والفصل بين المحاكم الابتدائية في الولايات وأنشأ السلطان محكمة [2]

([1]) عبد الفتاح حسن أبو علية: المرجع السابق، ص 363
([2]) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 522

التميز والعديد من المحاكم النظامية والتجارية ، وخاصة في الولايات ذات النشاط التجاري الكثيف ، وأصدر قوانين تنفيذية تتعلق بالقضاء مثل القانون الذي يحدد الشروط المفروضة لتولي منصب القضاء وتحديد حقوق وامتيازات القضاة والقوانين الصادرين بين عامي (1880 – 1881) المختصين بالإجراءات القضائية في محاكم الجنايات والمحاكم الابتدائية وقد نص القانون الأول على عدم جواز تقديم أي متهم إلى المحاكمة إلا بعد تحقيق ابتدائي. وصدرت تباعا قوانين جديدة حدد بعضها واجبات المحامين وأناط بعضها الآخر تنفيذ الأحكام القضائية برجال الشرطة، وحظر بعضها الثالث القبض على المتهم أو تفتيش منزله إلا بصدور إذن خطي من المحقق، وغير ذلك من القوانين التي تنظم العمل القضائي، وقد حققت هذه القوانين مستوى رفيعا من العدالة والنزاهة في الجسم القضائي لم تشهد له الدولة مثيلا من قبل.

وعلى الرغم من أن تنفيذ قوانين الإصلاحات القضائية قد كفل للجميع العدالة والمساواة إلا أن الأجانب المقيمين على الأراضي العثمانية والأقليات الموجودة في مختلف الولايات العثمانية، قد اعترضوا على تلك القوانين واللوائح بدافع التعصب الديني والرغبة في عرقلة الإصلاح، فرفضوا أن يحاكموا أو ينظر في قضاياهم أمام محاكم عثمانية، معتمدين في ذلك على ركنين أساسيين: الامتيازات الأجنبية وتأييد حكوماتهم لهم، وبذلك بقي القضاء مقسما إلى قسمين قضاء عثماني وقضاء مختلط يختص بقضايا الأجانب [(1)]

القدس: لها عناية خاصة من ناحية القضاء فقد كانت تتكون من الوظائف التالية (قاضي القدس، المفتي، نقيب الأشراف)

القاضـــــــي: كان قاضي القدس يتمتع بمكانة خاصة بين قضاة المدن الرئيسية في الدولة العثمانية وكانت صلاحياته لا تقتصر على القدس بل تمتد إلى (جنين، ونابلس وغزة والرملة ويافا) وكان قاضي القدس يعين القضاة المحليين، وفي العادة كان القاضي القدس (تركيا) يأتي من اسطنبول وكانت سلطاته واسعة جدا، حيث كانت له سلطات إدارية منها الرقابة على الوالي والأوقاف والجمارك وتسجيل العقود وتصديق الوثائق ومراقبة الأسعار وتسجيل بعض العقارات وتعيين المدرسين ورجال الإفتاء. [(2)]

([1]) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 523

([2]) رياض حمودة ياسين وأحمد ممدوح الفاعوري : تاريخ القدس السياسي والحضاري ، ط1 ، دار النشر ، عمان ، الأردن 2012 ، ص 66 ، 67

المفتـــــــي: كانت شخصية المفتي تأتي بعد القاضي وكان يتم تعيينه من قبل شيخ الإسلام في اسطنبول وكان يتم اختباره من بين العلماء حسن السمعة ومن العائلات المقدسية المعروفة .

نقيب الأشراف: وكان مسؤولا عن رعاية مصالح الأشراف المنتسبين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت وظيفته تشمل القدس والعديد من المدن الفلسطينية من (جنين إلى غزة) وكانت الفرمانات (قرارات) السلاطين العثمانيين توجه عادة إلى القاضي ثم المفتي، ثم النقيب ثم حاكم المدينة . [1]

المبحث الثاني: الإصلاحات السياسية

المطلب الأول: الجامعة الإسلامية

كان يرى السلطان عبد الحميد الثاني أن الحروب الصليبية ضد الدولة العثمانية دائمة ومستمرة، حتى ولو أخذت شكلا سريا لذلك كان يعمل بالإسلام على توحيد العناصر المتعددة في الدولة من ترك وعرب وأكراد وغيرهم في جبهة واحدة، لكي يتمكن من الصمود أمام الغرب كما كان يرى أن جبهة المسلمين في الدولة العثمانية فقط لا تكفي ولذلك رأى ضرورة امتداد تأثير الوحدة الإسلامية إلى كل مسلمي آسيا ، بما في ذلك مسلموا آسيا الوسطى كان يرى أيضا ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية، مع كل مسلمي العالم في الصين والهند وأواسط إفريقيا وغيرها وحتى مع إيران، وفي هذا يقول: "(عدم وجود تفاهم مع إيران أمر جدير بالتأسف، وعليه إذا أردنا أن نفوت الفرصة على الانجليز وعلى الروس، فإننا نرى فائدة في وجود تقارب إسلامي في هذا الأمر، ويعبر عبد الحميد الثاني عن ثقته في وحدة العالم الإسلامي بقوله:" يجب تقوية، روابطنا ببقية المسلمين في كل مكان ، يجب أن نقترب من بعضنا البعض أكثر وأكثر فلا أمل في المستقبل إلا بهذه [2]

([1]) رياض حمودة ياسين وأحمد ممدوح الفاعوري: المرجع السابق، ص 67

([2]) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني :تقديم وترجمة ،محمد حرب، ط3، دار المعلم ،دمشق سوريا 1991. ص23

الوحدة . سيأتي اليوم الذي يتحد فيه كل المؤمنين وينهضون فيه نهضة واحدة ويقومون قومة رجل واحد ، وفيه يحطمون رقبة الكفار)".

وفي مجال الجامعة الإسلامية فقد طرق عبد الحميد سبل الاستعانة بجمال الدين الأفغاني ويصف عبد الحميد جمال الدين بأنه (عالم مشهور في قصر يلدز) وهذا الأخير الذي يعتبر مقر سلطة عبد الحميد ، كما أننا وجدنا في مكتبة السلطان خلا صات لإطلاعات قام بها جمال الدين الأفغاني ولخصها وقدمها للسلطان عبد الحميد ، مما يؤكد المكانة التي كان جمال الدين الأفغاني يحتلها ، وكان السلطان جادا في البحث عن صيغة لتوحيد كل المسلمين سياسيا لمواجهة خطر كل من روسيا وانجلترا.

كما رأينا في الأسطر السابقة أنه أبدى أسفه لعدم وجود تفاهم في هذا الشأن مع إيران ، فتقدم إليه جمال الدين الأفغاني ، وأعطاه الأمل في إيجاد هذا التفاهم المنشود وأقنع السلطان بإمكان تعاون الشيعة مع أهل السنة في مواجهة القوى غير الإسلامية المتمثلة في الدول الأوروبية ورأى السلطان أن هناك فائدة عظيمة للمسلمين في هذا إذا كان كلام جمال الدين صحيحا ويبدوا أن جمال الدين قام بإقناع بعض كبار الموظفين في إيران ، وبعض علمائها بفكرته هذه ، وصدر وعد من قنصل إيران في اسطنبول ببذل كل ما في وسعه لإنجاح هذه المحاولة الكبيرة وكان عبد الحميد في تلك الأثناء راضيا كل الرضا عن جمال الدين الأفغاني .[1]

لذا نجد أن السلطان عبد الحميد الثاني قد ناصر هذه الحركة ودعا إلى إحياء ما كان للخلافة من مهام ومكانة في العالم الإسلامي، بقصد استخدامها كأداة تضمن التفاف الولايات العربية حوله وكوسيلة تقاوم بها الحركة الدستورية المعادية له، ودعا عبد الحميد الالتفاف حوله بوصفه خليفة المسلمين ، واجتذب إلى الأستانة الكثير من الوعاظ والعلماء والمتصوفة وأرسل إلى أقطار العرب والإسلام واهتم بالمدارس الدينية داخل السلطة وخارجها بالمعونات والهبات وأنشأ مدرسة للوعظ والإرشاد يسعى خريجوها للدعاية للوحدة الإسلامية [2]والخلافة

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: المصدر السابق ،ص24،25

(2) أحمد طربين : تاريخ المشرق العربي المعاصر ، (دط) جامعة دمشق سوريا ، 1986، ص 292،293

العثمانية وأغدق على الصحافة واستمال عددا من الكتاب والصحفيين ، إلى صف الجامعة الإسلامية وكان أول من عمل في ميدانها اللغوي الأديب أحمد فارس الشدياق (1804-1887) الذي أصدر كبرى الصحف العربية في الأستانة وهي جريدة الجوائب الأسبوعية التي استمرت حتى عام 1884م وكانت تعنى خاصة بالسياسة الإسلامية لعبد الحميد وتحمل أفكارها إلى مختلف الأقطار العربية وكان من أن يدعو عبد الحميد جمال الدين الأفغاني إلى الأستانة ، حيث اتفق الرجلان على العمل لتكوين الجامعة الإسلامية ، وكان الأفغاني يأمل أنه بمبعوثه السلطان يمكنه أن يوسع دائرة الإصلاح بوضع خطة لجامعة الإسلامية، تجمع بين بلاد فارس وأفغانستان والدولة العثمانية بنوع من الاتحاد أو التحالف ، تكررت مقابلة الأفغاني للسلطان ووصفه بأنه ذكي واسع الاطلاع على السياسة الأوروبية وألاعيبها ولكن جبنه يفسد عليه ذكاءه ومعرفته . [1]

وقد اتبع السلطان عبد الحميد الثاني من خلال إنشائه للجامعة الإسلامية سياسية ذات حدين فحاول أن يقوي مركزه كسلطان في داخل إمبراطورته على الشعوب الإسلامية ، التي سكنها وذلك بإعطائه أهمية لصفته كخليفة للمسلمين ، وظل الله على الأرض وأمير المؤمنين وخادم وحامي حمى الحرمين واستخدام ذلك وسيلة في سبيل الحصول على الولاء لعرشه لاعبا بعواطف الملايين من الأهالي ، وساعيا وراء تكتل قوة تأخذ شكل الحماس الديني تسانده في حالة قيام حرب، أما في الخارج فإنه حاول تحسين صورة الدولة العثمانية من الناحية الدولية واستغلال الاحترام الذي سيظهره له الملايين من المسلمين الخاضعين ، لحكم روسيا أو انجلترا وفرنسا وكخليفة لهم .وحاول أن يصل فعلا إلى رئاسة المسلمين في كل العالم وساعده على ذلك تقوية مركزه الدولي . [2]

---

(1) أحمد طربين : المرجع السابق ، ص 293

(2) جلال يحي : العالم العربي الحديث والمعاصر ، ج1 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر ، ص 214 ، ص 215

والجدير بالملاحظة هو أن هذه العلاقة بين جمال الدين والسلطان عبد الحميد الثاني سرعان ما انقلبت في الأخير رأسا على عقب وهذا نتيجة تخاذل جمال الدين الأفغاني كما ذكر في مذكرة السلطان عبد الحميد الثاني حيث يقول: "وقفت في يدي خطة أعدها في وزارة الخارجية الانجليزية، كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني، وانجليزي يدعى بلنت قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك واقترحا على الإنجليز إعلان شريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين، كنت أعرف جمال الدين هذا عن قرب وكان في مصر كان رجلا خطرا اقترح علي ذات مرة وهو يدعي المهدية – أن يثير جميع مسلمي آسيا الوسطى، وكنت أعرف أنه غير قادر على هذا وكان رجل الانجليز ومن المحتمل جدا أن يكون الانجليز قد أعدوا الرجل لاختباري. ثم يقول أن الانجليز بدؤوا يأخذون على تفاهم التحرش بمسألة الخلافة متخذين جمال الدين الأفغاني وسيلة لمآربهم". [1]

وفي مراجع أخرى تذكر أن العلاقة بين السلطان عبد الحميد الثاني وجمال الدين الأفغاني ساءت بفعل دساس أبي الهدى الصيادي، وبعد أن أمضى في الأستانة أربع سنوات وأشهر كان فيها تحت رقابة السلطان، مات ودفن كرجل عادي ومنعت الجرائد من تأبينه. [2]

المطلب الثاني : سياسته اتجاه العرب

أولى السلطان عبد الحميد الثاني العرب اهتماما خاصا ، ضمن برنامجه للجامعة الإسلامية وذلك لسببين أولهما: خشيته من استغلالهم ضعف الدولة العثمانية ونقمتهم عليها للانفصال عنها بتحريض خارجي وإنشاء خلافة عربية منافسة للعثمانيين، استنادا إلى قرشيتهما وكانت مخاوف السلطان متجهة أساسا، نحو نشاطات أشراف مكة المشبوهة بعد الحرب الروسية – العثمانية بين عامي (1877 – 1878)، للانفصال عن السلطنة بدعم بريطاني وإنشاء [3]

([1]) مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال : جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ، ط1 ، دار الطيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1983، ص 46 .

([2]) احمد طربين : المرجع السابق ،ص293

([3]) عبد الرؤوف سنو : السلطان عبد الحميد الثاني والعرب" الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية ، حوار العرب "، بيروت ، العدد 4 ، 2005، ص4 ، 5

خلافة عربية في الحجاز، والتي تزامنت مع مساعي جمعية بيروت السرية وحركة أعيان المسلمين ويوسف كرم والوالي مدحت باشا للاستقلال في بلاد الشام.

أما السبب الثاني فيرجع اهتمام السلطان بالعرب إلى سبب اقتصادي ، فبعد خسارة السلطنة لمعظم ولاياتها الغنية في آسيا و أوروبا أولى اهتماماته لولايات سوريا وحلب وأظنه على رفع مستوى ازدهارها وثرواتها تكون بديلا اقتصاديا من الولايات التي خسرتها ، فحمل السلطان عبد الحميد الثاني في إطار سياسته الإسلامية ، على أن يتودد إلى العرب عن طريق ضم شخصيات عربية ، دينية ومدنية من الأعيان إلى حاشيته أو تعيينهم في مراكز الدولة العليا في الولايات أو استمالتهم بالهدايا والامتيازات . [1]

بالإضافة إلى سياسة عبد الحميد إزاء العرب : فقد حاول عبد الحميد كسب العرب على وجه الخصوص ، بعد أن ظهرت لديهم بعض مظاهر الوعي القومي فأغدق الهبات السخية على معاهد التعليم العربية والمناصب ومظاهر التكريم على بعض الشخصيات العربية،وأنفق أموالا طائلة على إصلاح وتزيين مساجد مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، بالإضافة إلى تشكيل إحدى فصائل حرسه من العرب، كما أدخل بعض العرب في خدمته الخاصة ووصل بعضهم إلى مراكز بارزة ومن بين هؤلاء الأشخاص نذكر : [2]

الشيخ أبو الهدى الصيادي * (1849– 1909) من حماة سورية وأحمد عزت باشا العابد** من دمشق والشيخ محمد الظافر من الجزائر والشيخ أحمد القيصرلي من المدينة المنورة

---

(1) عبد الرؤوف سنو :المرجع السابق، ص5

(2) محمود صالح منسي: حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي، دار الفكر العربي ،الرياض المملكة العربية السعودية ،1987 ص34

* أبو الهدى الصيادي : هو أبو الهدى أفندي بن الشيخ حسين وادي بن السيد عادي بن السيد خزام الصياد ي1328 /1909 يرجع نسبه إلى آل البيت ، ولد في خان شيخون وهي تابعة حاليا لمعمرة النعمان من الجنوب الغربي من حلب تعلم فيها وولى نقابة الأشراف فيها ثم تولى العديد من المراكز والمناصب فيها ، عام 1870 أسندت إليه نقابة الأشراف جسر الشغور ثم ولا قاضيا عليه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وقربه منه ونزله منزلة رفيعة بعدما رأى علمه ومكانته الإسلامية والاجتماعية عام 1908 ، نفي في حكم الاتحاديين إلى جزيرة رينيكيو مقابل اسطنبول إلى أن توفي هناك سنة 1909 ، أنظر : محمد علي الأحمد سقوط الخلافة عرب بلاد الشام والدولة العثمانية: المرجع السابق ، ص 266- 267

** أحمد عزت باشا العابد : ولد عام 1855 في دمشق قرأ مبادئ العلوم في حداثته على أشهر جهابذة ذلك العصر كالشيخ عبد الرحمان الأسنوي وتعلم مبادئ اللغات التركية والفرنسية والإنجليزية على يد أساتذة مخصصين في 1876 تعين كاتب لمجلس الإدارة في ولاية سوريا عام 1891 ، صار عضوا لدائرة التنظيمات في مجلس الشورى الدولة عام 1895 انتدبه السلطان عبد الحميد الثاني وجعله كاتبا وقرينا له . أنظر : فيلب دي طيرازي تاريخ الصحافة ج1 ، ص 217

بالإضافة إلى أشراف مكة وفي مقدمتهم الحسين بن علي وغيرهم وأجرى عليهم الترتيبات وعهد إلى كثير من العرب بأعلى المناصب في الدولة منهم (أحمد عزت باشا العابد) الكاتب الثاني في المباين (وهي وظيفة هامة بين السلطان والصدر الأعظم *) وفي الجيش أيضا تم تكثيف تجنيد الضباط العرب في عام 1886 لايقل عددهم عن 3200 ضابط، كما اعتمد عبد الحميد على بعض كبار عائلات الأعيان الدمشقيين والحلبيين، وعلى زعماء العشائر. كما جرى إنشاء مدرسة للعشائر، في إسطنبول عام 1892 لتعليم أبناء الزعماء، وتربيتهم في روح الولاء للدولة العثمانية [1]

و بالنسبة للعرب الذين اتخذهم السلطان حراسا خاصا له ، أنزلهم حول القصر وألبسهم عمائم خضر [2]وبالإضافة أنه في حالة إخفاق وسائل الترغيب ، فكان دعاته يعملون على بتر الخلاف بين الزعماء والعرب وإثارة الخلافات العائلية والقبلية ، وأحيانا كان يوعز بالاغتيال كما كان يرغب بعض الزعماء على الإقامة في الأستانة ، تحت مراقبة جواسيسه ومن هؤلاء الحسين ابن علي الذي أقام في عاصمة الدولة منذ عام 1893م. [3]

المطلب الثالث : سياسته اتجاه الحركة الصهيونية

تولى السلطان عبد الحميد الثاني حكم الدولة العثمانية في 6 سبتمبر 1876 / 18 شعبان 1293هـ ومنذ توليه العرش، أبدى اهتماما جديدا لمستقبل فلسطين والولايات العربية الأخرى وشعر بأهمية الخطر الصهيوني، المتجه نحو الأراضي المقدسة في فلسطين ولهذا بدأ بمحاربة الهجرة اليهودية إليها، وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد رفض في عام 1876 عرض (حاييم غوديلا) بشراء مساحات من أراضي في فلسطين لإسكان اليهود المهاجرين فيها وبالرغم من الموقف العثماني الرافض للهجرة اليهودية، غير أن محاولات [4] الصهيونية

([1]) محمد زكي ملا حسين البرواري:الكورد والدولة العثمانية، ط،دار الزمان، دمشق ، سوريا، 2009 ص423

([2]) محمد زكي ملا حسين البرواري: المرجع نفسه ، ص 423

([3]) روبير مانيران : تاريخ الدولة العثمانية ، ج2 ترجمة : بشير السباعي ، ط ، دار الشر الفكر ، القاهرة ، مصر 1989

*الصدر الأعظم:مصطلح كان يطلق في العهد العثماني للدلالة على كبير الوزراء في الدولة، وقد يطلق عليه "اسم الوزير الأعظم" وقد اطلق هذا المصطلح على كبار ويعتبر الممثل المطلق للسلطان، ويصدر باسمه القرارات ويشرف على كافة مؤسسات الدولة وله الحق في تعيين كبار ورجالاتها وضباط جيشها .أنظر حسان حلاق: المرجع السابق ،ص136

([4]) حسان علي حلاق : دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908- 1909) ، (دط) الدار الجامعية ، بيروت ، لبنان ، (دس) ، ص 7 ، 8

استمرت، وفي هذه الفترة (1876) توجهت بعض القوى الصهيونية إلى اسطنبول للتوسط لدى السلطان العثماني وكان في مقدمة هؤلاء " لورنس أوليفانت" الذي طلب بدوره وساطة السفير الأمريكي، ولكن هذه الجهود لم تثن السلطات العثمانية عن المتمسك بقانون منع اليهود من الإقامة بفلسطين وسبب ازدياد شكوك السلطان عبد الحميد الثاني بالتحرك الصهيوني أفهم المبعوث اليهودي " اوليفانت " بأن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين ،وأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين ولكنها لا ترحب بإقامة مملكة لليهود في فلسطين أساسها الدين، والحقيقة أن أوليفانت صدم من موقف السلطان العثماني وراح ينشر الدعايات ضده فما كان من السلطان إلا أن طرده من اسطنبول ومنعه من دخولها.

وبين الأعوام (1876 – 1888) عينت الحكومة العثمانية (رؤوف باشا) متصرفا على القدس وكان رجلا مستقيما نظيف اليد ، فبدأ يرسل بين الحين والآخر القوات العثمانية للبحث عن اليهود المقيمين بطريقة غير قانونية وذلك لطردهم من فلسطين وفي فيفري 1887 صدرت أوامر جديدة بشأن الهجرة اليهودية وجهت إلى متصرفي القدس ويافا، تعلمهم بأنه يسمح لليهود بالدخول إلى البلاد كحجاج أو زوار فحسب.

وعلى كل يهودي يصل إلى يافا أن يدفع (50) ليرة تركية لقاء تعهده، بمغادرة فلسطين خلال 31 يوما .

وفي عام 1888 أصدر الباب العالي قوانين جديدة، تنص على ضرورة حمل اليهود الأجانب جوازات سفر توضح عقيدتهم اليهودية، كي تمنحهم سلطات الميناء تصريحا لزيارة المتصرفة لمدة ثلاثة شهور، كما رفضت السلطات العثمانية في ميناء يافا السماح بدخول اللذين لم يحصلوا على سمات دخول من قناصل العثمانيين في بلادهم . [1]

([1]) حسان علي حلاق : دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، المرجع السابق ، ص9

هرتزل والسلطان عبد الحميد الثاني : حاول الصهاينة منذ أن بدأت الحركة الصهيونية* بشكل منتظم عام 1897 الاتصال بالسلطان عبد الحميد الثاني لإقناعه بفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين والسماح لهم بإقامة مستوطنات للإقامة فيها . ولقد قام هرتزل** باتصالاته تلك بتوجه من الدول الاستعمارية والأوروبية خاصة بريطانيا وألمانيا ، وكان هرتزل يعلم مدى الضائقة المالية التي تمر بها الدولة العثمانية ، لذلك كان يحاول أغراء السلطان بحل مشاكله المالية مقابل تنفيذ مطالب الصهيانية والمستعمرين الذين يوجهونهم ومن الواضح أن هرتزل وأعوانه أرادوا أن يستغلوا الضائقة المالية الشديدة التي كانت تكن تحت وطأتها الدولة العثمانية ، فلوحوا بالمال ، ولكن السلطان عبد الحميد الثاني، ما وهن وما ضعف وما استكان أمام إغراءات المالية ورد على وسطاء هرتزل بقوله :" انصحوا الدكتور هرتزل ، بأن لا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحدا من الأرض ، فهي ليست ملك يميني ، بل ملك شعبي ، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم .ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا في جيشنا وإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة ." [1]
كما أصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرمانات خاصة بالهجرة اليهودية إلى فلسطين واليكم تعريب بعض الفرمانات السلطانية إلى أصدرها السلطان عبد الحميد الثاني 1308 هـ الخاصة بالهجرة اليهودية إلى فلسطين :

([1]) رفيق شاكر النتشه: عبد الحميد الثاني وفلسطين ،ط3، المؤسسة العربية، (دم) ،1991،ص 177.
* الصهيونية : مشتقة من كلمة صهيون وهو تل من تلال أورشليم وتطلق على ارشليم نفسها من قبيل إطلاق البعض على الكل واليهود يقدسونه ويتمرنون بذكره في مزاميرهم ، ومنها ما جاء في مزمور 87 ونصه الرب أحب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب وقد قيل أمجاد يا مدينة الله ، أنظر : مصطفى حلمي ، نكبة فلسطين من منظور فقه التاريخ ، ص55
** تيودور هرتزل: ولد في بودا باست يوم 2 ماي 1860 حصل على شهادة الحقوق من جامعة فينا عام 1878والدكتوراه في القانون 1885زاول مهنة المحامات ثم عمل في ميدان الصحافة ، كرس حياته لتحقيق أسس الإستطان الأولى وعقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا عام 1897 وتوفي عام 1904أنظر: عاطف عيد قصة وتاريخ الحضارات العربية فلسطين المرجع السابق، ص46

الفرمان الأول : 21 من ذي القعدة سنة 1308 هـ:

لا يسمح بإجراء ينتج عنه قبول اللاجئين اليهود المطرودين من كل بلد يترتب عليه إنشاء حكومة موسونية في القدس مستقبلا.و بما أن هؤلاء ليسوا من مواطني إمبراطوريتنا فيتم إرسالهم إلى أمريكا برفض قبولهم وقبول غيرهم في البلاد بل يجب تهجيرهم إلى بلاد أمريكا بوضعهم في السفن دون أي تأخير وعرض الموضوع علينا بعد اتخاذ قرار خطير بشأن تفاصيله، لماذا نقبل في بلادنا من طردهم الأوروبيون المتحدثون وأخرجهم من ديارهم ؟ لا محل لقبولهم مادامت عندنا فتنة أرمينية ، فنطلب إلى مقام الصدارة اتخاذ قرار عام في هذا الموضوع دون حاجة لعرض الموضوعات فيما بعد على أحد.

الفرمان الثاني : 28 من ذي القعدة 1308هـ

إلى اللجنة العسكرية السلطانية بما أن قبول هؤلاء الموسونين ومنحهم الجنسية العثمانية وإسكانهم أمر ضروري.وربما أن هذا التسامح ينتج عنه مستقبلا إقامة دولة موسوية ، فيتعين عليه عدم قبولهم في البلاد ، وعلى اللجنة العسكرية أن تقدم على ضوء هذا بعرض القرار سريعا على مقام الصدارة .

الفرمان الثالث : 29 ذي القعدة سنة 1308هـ

إلى اللجنة العسكرية السلطانية إلى الدول التي تقدم إلينا احتجاجات عتاب بحجة عدم قبول الموسونين الذين أخرجوا مطرودين من دول متمدنة ورفض الدول الأخرى قبولهم ولو ترى في نفسها حق الاحتجاج فلتتقدم به الدول التي طردتهم ورفضت قبولهم هؤلاء الموسونيون أينما سكنوا ومهما اتخذ ضدهم من تدابير فإن الذي يلاحظ عليهم هو النزوح التدريجي إلى فلسطين مقصودهم الأصلي، يقيموا فيها حكومة موسونية فيما بعد، تشجيع الأوروبيين وحمايتهم لهم وبما أنهم قوم لا يشتغلون بالزراعة والفلاحة وثابت عليهم أنهم سوف يضرون الأهالي مثلها أضروهم في البلاد التي طردوا منها، وكانوا يهاجرون قبالا إلى أمريكا [1] فإن

(1) محمد زكي ملا حسين البرواري: المرجع السابق، ص 245

الأنسب لهم أن يتوجهوا إليها أيضا ، ونطلب مذاكرة هذه النقطة في اللجنة العسكرية مذاكرة مستوفاة . [1]

المبحث الثالث : الإصلاحات في الميدان العسكري

أما القيادة العسكرية في جميع سورية فكانت واحدة حتى آخر العهد العثماني وهي قيادة الجيش الخامس: اتخذت من مدينة دمشق مقر لهذا الجيش، لما لها من أهمية جغرافية تتوسطها بلاد الشام، بالإضافة إلى أهميتها الروحية لأنها مركز تجمع الحج الشامي، قبل انطلاقه في رحلة طويلة نحو الأماكن المقدسة، وكان قائدا هذا الجيش يحمل رتبة " مشير" ويتقاضى مرتبا شهريا قدره (125) ليرة عثمانية، ويساعده في الأمور العسكرية أركان مؤلفة من كبار ضباط الجيش الخامس، برئاسة ضابط برتبة " مير لواء" ومن ضابطين برتبة قائم مقام، وآخرين برتبة بكباشي وضابط برتبة قول أغاسي وآخر برتبة يوزباشي – أعضاء، ويتمتع مشير الجيش بمكانة مرموقة في ولاية سورية، إذ كان يعين واليا بالوكالة في حالة عزل أو غياب والي سورية عن دمشق ، كما كانت تجرى له مراسم استقبال عند تعينه مشيرا للجيش الخامس ، ولم تكن علاقة مشير الجيش الخامس بوالي سورية حسنة بالرغم من أن نظام الولايات عام 1864م، ونظام الإدارة عام 1871م وقانون إدارة الولايات العمومية المعدل الذي صدر في عام 1913م نص جميعها على ضرورة تعاون الوالي والمشير في حشد القوة العسكرية للقضاء على الثورات والفتن ، التي تنشب في الولاية ويبدوا أن موقف المشير يعود إلى سببين: 1- إحراج مركز الوالي وإظهاره بمركز العاجز عن توطيد دعائم الأمن والاستقرار. 2- من مصلحة المشير حدوث اضطرابات في الولاية لكي تضطر الحكومة المركزية في اسطنبول إلى الاستعانة به ، ومنحه صلاحيات واسعة للقضاء على الثورة ، وإذا استطاع أن يفعل ذلك للفت الأنظار وينال رضى المسؤولين إلا أن هذه الخلافات بين الولاة والمشيرين في ولاية سورية ، لم تكن بصورة مستمرة . [2]

---

(1) محمد زكي ملا حسين البرواري: المرجع السابق ، ص 245 ، 246

(2) عبد العزيز محمد عوض : الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864/1914، تقديم أحمد عزت عبد الكريم، (دط)، دار المعارف القاهرة مصر ، 1969، ص 141

بالإضافة إلى القيادة العسكرية أنه وجد في مراجع أخرى يسمى بقيادة الجيش الهمايوني الثامن(سوريا مركزا لقيادة هذا الجيش) وقائد الأعلى برتبة مشير وبعد عام 1908م جعلت[1] مركزا لقيادة الجيش الرابع وتميزت دمشق وحلب بمن نشأ من شبانها في المدارس التي تأسست هناك. [2]

تقسيمات الجيش الخامس : قسم الجيش الهمايوني في بلاد الشام إلى أربعة فرق، يوزعه على ثمانية ألوية، تنقسم بدورها إلى (16 آلاي) أو (64 طابورا)، وبلغت قوة الجيش الخامس من المدفعية طابورا واحدا، موزعا على ثلاث (بلوكات) وقسمت الفرقة الخامسة من الفرسان إلى ثلاثة ألوية موزعة إلى ستة آلايات، وكان في ولاية سورية في سنة 1296هـ/1878 م عشر طوابير عسكرية موزعة على ألوية العثمانية الثمانية، أما الطابورات التاسع والعاشر فكانا متنقلين وفي أواخر العهد العثماني كان توزيع الجيش الخامس في بلاد الشام على النحو التالي [3]:

أولا : المشـــــاة جدول رقم (01) يمثل تقسيمات فرقة المشاة في ولاية سوريا

الفرقة	المركز	اللواء	المركز	الألاي	المركز
17	دمشق	33	دمشق	65	دمشـــق
				66	بعلبـــك
			طرابلس	67	طرابلس
				68	اللاذقيـة
18	عكـا	35	عكـــا	69	عكــــا
				70	نابـلـس
			القدس	71	القـــدس
				72	يافــــا
19	حلب	37	حلـب	73	حــــلب
				74	أدلـــــب
		38	أورفة	75	أورفـــة
				76	عيتـــاب
20	أظـنة	39	أظنـــة	77	أظنـــة
				78	اسكندرونة
		40	مرعش	79	مرعـــش
				80	مرعـــش

المصدر: عبد العزيز محمد العوض ، المرجع السابق، ص 142

(1) هشام سوادي هشام : تاريخ العرب الحديث 1516- 1918 (من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى) ط1 دار الفكر ، عمان، الأردن ، 2010 ، ص 99

(2) هشام سوادي هشام: المرجع السابق، ص99

(3) عبد العزيز محمد العوض : المرجع السابق ، ص 142 ، 143

ثانيا: الخيالـــــــة جدول رقم (02) يمثل تقسيمات فرقة الخيالة لولاية سوريا

الفرقة	المركز	اللواء	المركز	الألاي	المركز
5	دمشق	13	نابلس	25	نابلس
				26	حماه
		14	دمشق	27	حلب
				28	بيروت
		15	دمشق	29	دمشق
				30	دمشق

المصدر: عبد العزيز محمد العوض ، المرجع نفسه ، ص 143

وتبع الجيش الخامس في ولاية سورية عدد من المؤسسات العسكرية، إذ ألحقت به مدارس عسكرية رشدية وإعدادية، تخرجت منها خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مئات من الضباط من أبناء الشام، اللذين لعبوا دورا هاما في الجيش السوري، بعد انفصال سوريا عن الدولة العثمانية سواء في عهد الانتداب أم في عهد الاستقلال . [1]

ولقد أدرك السلطان عبد الحميد الثاني أن هناك نقصا كبيرا في عدد المثقفين المدنيين القادرين على إدارة الوظائف الفنية غير العسكرية، فسعى للتوسيع في نشر هذا التعليم على جميع مستوياته وحاول إيجاد نوع من التوازن بين التعليم العسكري والمدني، فأنشأ كليات ومدارس عالية ومعاهد فنية يمكن لخريجيها أن يساهموا في النهوض بالدولة مع الاهتمام في الوقت ذاته بالتعليم العسكري واستقدام البعثات العسكرية من شتى دول أوربا، وخاصة ألمانيا، واهتم بكلية الإدارة المدنية (ملكية مكتبي)التي أنشأتها الدولة على عهد والده السلطان عبد المجيد عام 1859 فأعاد تنظيمها وتطعيمها بمناهج عصرية ، وفتح أبوابها للوافدين من شتى ولايات الدولة العثمانية، حتى أصبحت المدرسة مركزا ثقافيا هاما، إذ عمل بها وتخرج منها عدد كبير من المثقفين العثمانيين الذين تركوا بصمات واضحة فيما بعد على الحياة العسكرية والسياسية في تاريخ الدولة العثمانية ومن المدارس التي أنشأها [2] السلطان عبد

(1) محمد عبد العزيز العوض : المرجع السابق ، ص 145

(2) مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي: المصدر السابق ، ص22 ، 23

الحميد الثاني في الجانب العسكري مدرسة الشرطة (1891) ومدرسة الجمارك عام(1892) وأنشأ مدارس حربية في أرفه ومناستير ودمشق وبغداد وغيرها وأنشأ مدرسة للبحرية العسكرية. [1]

(1) مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي: المصدر السابق ، ص22 ، 23

الفصل الثاني

سياسة عبد الحميد الثاني الإقتصادية والإجتماعية والثقافية في بلاد الشام

- المبحث الأول: الإصلاحات الإقتصادية

المطلب الأول: الأوضاع الإقتصادية في بلاد الشام

المطلب الثاني: الطرق والمواصلات

المطلب الثالث: وسائل الإتصال

المطلب الرابع: العملة في بلاد الشام ومصارفها

- المبحث الثاني: الإصلاحات الإجتماعية

المطلب الأول: تركيبة المجتمع

المطلب الثاني: الطوائف المذهبية في بلاد الشام

المطلب الثالث: المساحة والسكان لأقاليم بلاد الشام

المطلب الرابع: الإصلاحات الصحية

المطلب الخامس: الاهتمام بالمرأة

- المبحث الثالث: الإصلاحات الثقافية

المطلب الأول: التعليم

المطلب الثاني: الطباعة

المطلب الثالث: الصحافة

المطلب الرابع: حركة الترجمة والتأليف

المطلب الخامس: العمران

- المبحث الرابع: نتائج اصلاحات عبد الحميد الثاني في بلاد الشام

المبحث الأول: الإصلاحات الاقتصادية

المطلب الأول: الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام

احتفظ العثمانيون بشكل عام بالنظام الاقتصادي، الذي كان سائدا فيما قبل الفتح فبقيت الأراضي والسلطة كالسابق، وفي 21 أفريل عام 1857 م صدر قانون الأراضي وقد قسمت الأراضي إلى: الأراضي المملوكة والأراضي الأميرية والأراضي الموقوفة والأراضي المتروكة والأراضي الموات.

وأنشئ نظام قانوني لتسجيل بعض العقود المختصة بالأراضي، وعالج هذا القانون مسألة منح سندات تفويض للمتصرفين بالأراضي الأميرية، إلا أن القانون لم يضع حلا لمشاكل الأراضي وقد أدى تطبيقه إلى ظهور ملاكي الأرض فقد سجلت مساحات واسعة باسم السلطان، وعدد من شيوخ العشائر وأثرياء الدولة ولم يسجل باسم الفلاحين سوى قسم ضئيل ويعود ذلك إلى أن القوانين لم تحفل يتعين مساحة الأراضي قدر اهتمامها بتعين الحدود كما أن الحكومة أوكلت إلى حكام الألوية أمر بتشكيل لجان مسح الأراضي، مما أفسح المجال أمام التلاعب بالحدود وتغير العلامات، وهذا يفسر امتلاك عدد من وجهاء المدن الكبرى لعدد من القرى في الولايات وهكذا كانت الأراضي المملوكة ملكا خاصا قليلة نسبيا، إذا قورنت إلى الأراضي الأخيرة، وكان الفلاحون يملكون من هذه الأراضي المملوكة نسبة ضئيلة وكان يحق صاحب هذه الأرض حق التصرف بها حسبما يشاء، وكان صاحبها يدفع ضريبة العشر أو الخراج الذي كان يصل أحيانا لنصف غلة الأرض، وكان من طبيعة نظام الالتزام السائد في الولايات أن أدى بالملتزمين إلى استغلال الفلاحين، لتأمين منافعهم بجميع الأموال التي دفعوها، ثم تحقيق ربح خاص [1]

([1]) جميل بيضون وآخرون : تاريخ العرب الحديث ، ط، دار الأمل ، عمان ، الأردن ، ص65

الأراضي الأميرية(أراضي الدولة) : وكانت أكثر أنواع الأراضي انتشارا في الدولة العثمانية وكان يوزع قسما منها على شكل اقطاعات، بينما تجب ضرائب القسم الآخر بواسطة ملتزمين وقد اختلفت الاقطاعات حسب ماتدره من عوائد، وقسمت بالتالي إلى ثلاثة أنواع:

1/ إقطاع صغيريسمى تيمار ولا يتجاوز دخله عشرين ألف أقجة(أصغر وحدة نقدية عثمانية) ويطلق على صاحبه تيمارجي.

2/ إقطاع زعامة ويتجاوز دخله عشرين ألف أقجة، ويطلق على صاحبه زعيم .

3/ إقطاع خاص، وهو أكبر الاقطاعات مساحة ويتجاوز دخله مائة ألف أقجة وأعطي إلى أفراد الأسرة الحاكمة وكان صاحب الإقطاع يتمتع به مدى الحياة، كما أن السلطان العثماني كان مالكا للأرض في أنحاء الدولة.

وقد طبقت الدولة العثمانية النظام الإقطاعي العسكري لمزاياه العديدة، فهو يضمن زراعة الأرض من جهة، ويضمن حصول الدولة في زمن الحرب على قوات من الفرسان دون تكاليف تذكر من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة فإن هذا النظام الإقطاعي* كان يخفف العبء على الخزينة، فلا تدفع الدولة زمن السلم مرتبات سباهية (الفرسان)[1]

- **الأراضي الموقوفة** : وقسمت بموجب هذا القانون إلى قسمين: الأول ما كان ملكا صحيحا (شخصيا) وأوقفه صاحبه وفقا لشرع، واعتبرت الإدارة العثمانية هذا النوع عائدا إلى الوقف في جميع أوجه التصرف به ولا تجرى عليه المعاملات القانونية، بل يعامل بموجب شرط الواقف. أما الثاني: هو الأراضي الأميرية التي أوقفها[2] السلاطين

([1]) اسماعيل أحمد ياغي : العالم العربي الحديث ، المرجع سابق ، ص 77، 78

ملاحظة: بالنسبة للأوضاع الاقتصادية لبلاد الشام التي تم ذكرها كانت قبل عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

* النظام الإقطاعي : هو منح الأرض التي لا مالك لها مقابل الخراج والعشور ، أو منح غلة الأرض في مقابل شيء أو ضمانة بيت المال ، أنظر : الطاهر عمري ، نهضة العلم الاسلامي ، ص 14

([2]) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص 231

بالذات وآخرون بالإذن السلطاني، فهذه الأراضي تجرى بحقها المعاملات القانونية وهي أراضي أوقف دخلها ، مع بقاء رقبتها لبيت المال .

- الأراضي المتروكة : وقسمت إلى قسمين الأول منها : مالا يجوز تملكه مثل الطريق العام والثاني هو القسم المخصص إلى عموم أهالي القرية أو المزرعة أو القرى والقصبات فهذه الأراضي – مثل المراعي والأحراش والساحات والأسواق العمودية أو الموسمية والمساجد والمراعي وغير ذلك – نص القانون على كيفية استعمالها والاستفادة منها .
- الأراضي الموات: ويقصد بهذا التعبير وكما ورد في قانون الأراضي – بأنها الأرض المنقطعة عن العمران، وهي دائما مشاع للجميع ويستطيع الإنسان أن ينتفع بها بإذن مأمور الأراضي في المنطقة، وكانت الدولة تمنح هذه الأراضي بلا مقابل للأهالي شريطة أن يستثمروها. [1]
- ومن أهم منتوجات القطاع الزراعي في بلاد الشام زراعة الحبوب من قمح وشعير وذرة من الدرجة الأولى وبعدها زراعة القطاني والشوفان والسمسم في الدرجة الثانية من الأهمية بعد زراعة التوت ، ولاتقل زراعة الزيتون أهمية وانتشارا عن زراعة الحبوب وكذلك زراعة البطاطا والعنب وأشجار البرتقال والحامض والخضار عن اختلاف أنواعها ....إلخ [2]

أما عن الصناعات بلاد الشام فكانت صناعة الأخشاب والمعادن وصناعة النسيج اليدوي وصناعة الحلوى والفخار والزجاج وصناعة الثياب والرخام والسجاد [3]

---

(1) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص231 ، 232

(2) علي معطي : تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي (دراسة في العلاقات العربية التركية 1908 – 1918)، ط مؤسسة عزالدين للطباعة، بيروت، لبنان، 1992، ص 126

(3) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ، 2003، ص 83

والبساط ولعدم وجود المواد الأولية، كانت الصناعة عموما في تأخر، لاسيما بعد منافسة الصناعات الأجنبية للمنتجات المحلية.

وفي مجال الصناعة أيضا كانت معامل الحرير ومعاصر زيت الزيتون والخمور، ودبغ الجلود منتشرة في بلاد الشام.

بالنسبة للتجارة كانت في بادئ الأمر حركة نشطة بشكل ملحوظ نحو أوروبا عبر مرافئ بيروت وصيدا وجونيه وجبيل، ومع المناطق المجاورة عبر سوريا. بحيث لدينا بعض إحصائيات صادرات لإقليم من أقاليم الشام ألا وهي فلسطين بحيث كانت فلسطين تصدر زيت الزيتون والذرة والصابون وغير ذلك ، بالإضافة إلى تصدير الحبوب والسمسم والبرتقال، فقد قفزت صادرات الحبوب من 84 ألف جنيه استرليني في عام 1873 إلى 156 ألفا في 1881 وصادرات البرتقال من ستة ملايين طن في عام 1857 إلى 26 مليونا و 250ألف طن في عام 1879، وتزايد كذلك إنتاج السمسم وتصديره من 503 ألاف أقة (وتساوي 1.27 كلغ) إلى أربعة ملايين من عام 1857 إلى 3.850 مليونا في عام 1876 وإلى 5.300 مليون في عام 1880 [1].

وهذا ما ذكره ابن بطوطة في رحلته عن منتوجات بلاد الشام وصف مدينة نابلس على أنها مدينة عظيمة ،كثيرة الأشجار، مطردة الأنهار، من أكثر بلاد الشام زيتونا ومنها يحمل الزيت إلى مصر ودمشق، وبها تصنع حلواء الخروب أو الخروب ويجلب إلى دمشق وغيرها وعن (كيفية صنعها) وعن كيفية طبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه الرب فنصنع منه الحلواء، ويجلب ذلك الرب أيضا إلى مصر والشام، وبها البطيخ المنسوب إليها وهو طيب عجيب، أما مدينة صيدا وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه، يحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر أما مدينة حماه [2]فهي

---

(1) Bichara et Naim Khader :texte de la revolution Palestine 1968/1974 sindibad1 et 3 rue feutrier ,paris 18 ,p 12

(2) إبن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار ، يحقق على منتصر الكتاني ، الجزء الأول ، ط 4، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1985، ص 85

إحدى أمهات الشام الرفيعة ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق والجمال الفائق ،تحفها البساتين والجنات، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي ، وبحماه الفواكه الكثيرة، ومنها المشمش اللوزي، إذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة . [1]

المطلب الثاني : الطرق والمواصلات

الطرق المعبدة

في تطوير السوق الداخلية في فلسطين وفي دمج البلاد بالأسواق الأوروبية فتم إنشاء شبكة المواصلات فقبل إنشاء خط مركبات النقل في عام 1868م، كان النقل كله يجري بواسطة الحيوانات من خيول وبغال وحمير وجمال، وبعد تعبيد الطرق تزايد حجم ماينقل من سلع والأفراد كثيرا، وبحلول عام 1913م كانت فلسطين تتمتع بأعلى نسبة لطول سكك الحديد بحيث كانت المواد والوقود والمهارات اللازمة لبناء سكك الحديد تأتي من خارج فلسطين فلم يكن لها تأثير قوي مباشر في مضاعفة الاقتصاد باستثناء الزيادة في التصدير والاستيراد وفي التجارة الداخلية إلى حد ما، إن السكك الحديد والطرق الخارجية المعبدة التي تربط بين المدن الرئيسية في فلسطين جاءت بشيء جديد ، يختلف كثيرا عن أساليب النقل التي ظلت قائمة في بقية البلاد، ومع ذلك فإن توسع السوق قد عم في كافة أنحاء القطر تقريبا. [2]

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان في سورية شبكة من الطرق البرية تمتد من الجنوب حيث مدينة غزة وبئر السبع، إلى الشمال نحو مدينة (اسكندرونة) مارة بالمدن الرئيسية ويتفرع أحيانا ليربط القرى الكبرى والهامة بها وأهمها :

([1]) إبن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، المصدر السابق ،ص 35

([2]) سميح فرسون : المرجع السابق ، ص 90

1/ الطريق البري بين دمشق وبيروت : الذي أنشأ عام 1857 وقد نالت امتيازه شركة فرنسية سميت شركة (طريق الشام العثمانية) وأشرف على هندسته المهندس (ديمان) الذي نفذ طرق أخرى في سورية، وقد بلغ طوله(117كلم) وعرضه (67 متر) وحصلت الشركة على أرباحا مهمة وتضاعفت وارداتها ، وبقيت كذلك إلا أن تم إنشاء الخط الحديدي بين دمشق وبيروت في الفترة المدروسة. [1]

2/ **الطريق البري بين دمشق وحوران** : وقد افتتح عام 1888م وحقق فوائد مهمة وأنعش القرى الواقعة، على جانبه فأخذت تصل المنتوجات من حوران إلى دمشق وغيرها من المدن السورية، بسهولة ويسر واعتنت السلطة بتعبيد الطرق بموجب النظام الذي صدر عام 1869م، ولكن التعبيد كان في ذلك الوقت من دون تزفيت لذلك كان سريع التلف وبحاجة دائمة إلى الصيانة والترميم . [2]

3/ طريق حمص طرابلس : تم تأسيسه عام 1883 برأس مال أولي قدره 9000 ليرة عثمانية ، ثم رفع بعد ذلك إلى 21,000 ليرة وقد جنى البلدان فائدة عظيمة من هذا الطريق تعادل 33% من رأس المال ودام ذلك الحال إلى أن بدأ باستثمار الخط الحديدي بين طرابلس وحمص في جوان 1911م.

4/ طريق حماه اللاذقية: بدأ العمل في هذه الطريق عام1891م ولكن انتشار الكوليرا- آنذاك أعاق سير العمل بها إلى أن تم في عام 1896م. وهذا وقد أبدت الدولة العثمانية، عيناتها في تعبيد الطرق، بموجب النظام الذي صدر في 1869م، ولكن التعبيد القديم كان بدون "تزفيت" ولذلك كان سريع العطب وبحاجة دائمة إلى الإصلاح والترميم.
وكما تم أيضا وفي عهد المتصرف نعوم باشا بشق مجموعة من الطرق وأهمها

---

(1) ماري دكران ساركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني ، (دط)، منشورات الهيئة العمة السورية وزارة الثقافة، دمشق ، سوريا ، 2010، ص 293

(2) ماري دكران ساركو: المرجع نفسه، ص 293

طريق[1] بيروت- صيدا طريق جزين- جونيه ، وطريق جبيل-بيروت وطرق أخرى في أقضية الكورة والمتن وكروان والشوف ، حتى وصلت هذه الطرق طولا إلى 480 كلم و 880 مترا .

ثانــــيا : خطوط سكة الحديد

بالنسبة لخط سكة الحديد في بلاد الشام : فقد عرفت إمداد كبير في خطوط سكة الحديد وبالطبع أغراضه تختلف بين الأغراض السياسية والاقتصادية بحيث كانت مصر هي أول بلد عربي تمد فيه الخطوط الحديدية ، حيث أنشأ الأمير محمد سعيد خط السويس – القاهرة سنة 1859، وعندما زار السلطان عبد العزيز* مصر ركب هذا القطار لأول مرة في حياته ، وقد بدأ إعطاء التراخيص إلى الشركات الأجنبية بمد الخطوط الحديدية من (1861 إلى1876) في كل أنحاء السلطنة ولكن سورية وبما فيها مدينة دمشق لم تستفد منها، إلا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

1/ خط حديد دمشق – بيروت: أعطت الدولة العثمانية امتياز هذا الخط إلى يوسف أفندي مطران وذلك عام (1307هـــ/1890م)، ولأنه لم يتقدم بمخططات المشروع في المدة المحددة سقط حقه بالمشروع، فأعطى إلى حسين بيهم** عام (1308هـــ/1891م) الذي سمي شركته باسم "الشركة المساهمة العثمانية بخط دمشق – بيروت الاقتصادي وحصلت سكة الحديد دمشق بيروت على كل التسهيلات في استهلاك الأراضي، وقد تطاولت الشركة أحيانا على الأراضي المجاورة للخط، فحصلت نزاعات بينهما وبين الأهالي والأجانب المتواجدين في دمشق و في المحطات التي تمر منها، السكة الحديدية الواصلة بين دمشق وبيروت فقد كان عرضه 105 سم وبلغ طول الخط الحديدي بين دمشق وبيروت (147كلم) وهو يقطع المساحة [2] في

---

(1) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص 256، 257
(2) ماري دكران ساركو: المرجع السابق، ص 297

سلسلة جبال لبنان بالخطوط المسننة على مسافة 34 كلم، وكان قطار الركاب يقطع المسافة بين دمشق وبيروت في 9 ساعات، أما قطار الشحن فيستغرق 11 ساعة، في حين أن القوافل كانت تجتاز المسافة لــ 13 ساعة وقد جرى افتتاح الخط بيروت–دمشق في 3أوت 1312ه/1895م: وقد كان يجتاز 4 أنفاقا لا يتجاوز طولها 35 كلم وفي عام 1895 ، استقدم خبير من أجل تقصير الزمن الذي وصل إلى 6 ساعات ومن أهم المحطات في هذا الخط : دمشق، دمر، الهامة، الجديدة، عين الفيجة، دير قانون ،سوق وادي بردى، الزبداني، سرغايا، الرياق المعلقة، المرتجات، صوفر، بحمدون عالية ، عاربا ، مهمور ، بعبدا ، الحدث ، بيروت ، وكان الخط يتوقف قبل ميناء بيروت بمسافة طولها 205 كلم لذلك لم تستفد التجارة منه ، حتى وصل الخط إلى الميناء بعد الاتفاق بين شرقي الميناء وخط عام 1314هــ/1897م.

2/ **سكة حديد دمشق – مزريب:** تعود فكرة إنشاء هذا الخط إلى عهد ولاية مدحت باشا والي ولاية سورية، عندما ذكر في عام(295ه/1878م) في تقريره إلى الباب العالي أهمية إنشاء خط حديدي يربط دمشق بحوران ــ يستطيع أهل حوران تصريف حاصلاتهم الزراعية وتسهيل إدارة شؤون المنطقة الجنوبية ويعمل على توطيد الأمن والاستقرار ، لكن الإدارة العثمانية، أهملت طلب مدحت باشا وقتها ثم منحت الامتياز إلى يوسف مطران الذي اشترك مع شركة فرنسية سميت فيما بعد شركة دمشق –حماه وتمديداتها، وبوشر باستثمار الخط أواسط عام 1311ه/1894م وكان عرضه (105سم)

---

* السلطان عبد العزيز(1830-1876):سلطان عثماني خلف أخاه عبد المجيد ،كان أول سلطان عثماني زار مصر عام1864 بعد أن فتحها سليم الأول(1517) ازدادت تركيا ضعفا في عهده، وتوقفت عام 1875 عن تسديد ديونها التي اقترضتها من المصارف الأوروبية بفوائد فاحشة أقامت الدول الأوروبية رقابة على مالية الحكومة التركية اندلعت الفتن في عهده في البوسنة والهرسك وبلغاريا وسعى رئيس وزرائه ،مدحت باشا لديه ليمنح البلاد دستورا حرا ولكنه رفض فخلع ومات قتيلا في أغلب الظن بعد أيام قلائل من خلعه .أنظر محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة، المجد الاول والثاني، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة، مصر، ص1183.

* * حسين بيهم (1883-1881): أديب ونائب من رواد حركة النهضة العربية ولد في بيروت وأصبح من وجهائها وناب عنها في مجلس النواب العثماني ، تولى رئاسة الجمعية العلمية السورية ، وله شعر جمع في ديوان ورواية وطنية مثلت في بيروت. انظر عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية ،ج2 ،المرجع السابق ،ص543

تكملة لخط حديد دمشق بيروت الذي يصل إلى الميناء وقد أدى ذلك إلى تخريب رصيد الشركة فكادت الشركة تنهار ولكن تدخل الكونت فتالي ثم سفير فرنسا منع سقوط الشركة، فوقعا اتفاق مع شركة دمشق–حماه –بيروت، وساعدا الشركة على الاستمرار بشكل بسيط وبضائقة مالية حتى الحرب العالمية الأولى.وعند البدء بتمديد[1]

الخط الحجازي اعترضت شركة خط حديد دمشق–مزريب وجود خط موازي لها فعرضت على الدولة خط مواز لها فعرضت على الدولة العثمانية مبلغا كبيرا من المال للتخلي عن المشروع ولكن طلبها رفض وحاولت الدولة من جانبها شراء خط دمشق – مزريب فرفضت الشركة، وكترضية للشركة الفرنسية منحتها السلطة العثمانية امتياز خط حلب مع الضمانة الكيلو مترية وذلك في عام 1322ه/1905م.ولكن خط دمشق– مزريب لم يحقق أرباحا خاصة، بعد أن بدأ الخط الحديدي الحجازي عمله واستثماره وأثناء الحرب العلمية الأولى، أمر لورانس الضابط الانجليزي المرافق للقوات العربية الثائرة على السلطة العثمانية، بإقلاع قضبانه من أجل إ تمام الخطوط الحديدية في فلسطين، ولم تصلحه الشركة الفرنسية صاحب الامتياز بعد الحرب.[2]

3/ سكة الحديد بين دمشق والمدينة المنورة (خط الحجازي): (أنظرالملحق 4) في أواخر القرن التاسع عشر فكرت السلطة العثمانية بإيجاد وسيلة نقل لتسهيل سفر الحجاج المسلمين إلى الديار المقدسة، وتوفير الراحة والأمان لهم ولأسباب سياسية وعسكرية، لتسهيل مرور القوات حين اللزوم، وبعد الدراسات الجارية بهذا الشأن تقرر تمديد خط حديدي يربط دمشق بالمدينة المنورة كمرحلة أولى ثم بمكة المكرمة كمرحلة ثانية، وبعد ذلك يجرى تمديده إلى بلاد اليمن وقد بوشر بتمديد هذا الخط في عام[3]1901 بعرض (105)مترا بالأموال التي تبرع بها المسلمون في مختلف أنحاء

(1) ماري دكران ساركوا : المرجع السابق ،ص297،298
(2) ماري دكران ساركو : المرجع نفسه ، ص 298 ، 299
(3) مصطفى طلاس : المرجع السابق ،ص 35،36

العالم الإسلامي وبالأموال التي تبرعت بها الدولة العثمانية، واحتفل بافتتاح الخط الحديدي الذي يصل دمشق بالمدينة المنورة والذي أطلق عليه اسم الخط الحديدي الحجازي بتاريخ 31 اوت عام 1908 وذلك بتسيير أول قطار عليه وكان الخط يتألف وقتذاك من الأقسام التالية: قسم دمشق–المدينة المنورة ويبلغ طوله 1308كلم وقسم درعا حيفا ويبلغ طوله 126 كلم وقسم بلد الشيخ (قبيل حيفا)–عكا ويبلغ طوله 17كلم وقد اصدر السلطان العثماني إرادة منية بإعطاء هذا الخط صفة الوقف الإسلامي.
واستمر استثمار هذا الخط حتى اندلاع الحرب العالمية في عام 1914فتعرض خلال هذه الحرب نتيجة لقيام الثورة العربية الكبرى في الحجاز إلى أعمال تخريب عديدة في مختلف أقسامه، وقد ساهمت كل من انجلترا وفرنسا إسهاما كبيرا في التوسع بوقوع هذه الأعمال والتشجيع على القيام بها هادفتين من جراء هذه العمليات، إلى حرمان البلاد العربية من هذا الشريان الحيوي الذي يربط بينها والى قطع اتصال الأقطار العربية بعضها ببعض لتكريس التجزئة والفرقة بين أقاليم الأمة العربية الواحدة.[1]

من أسباب اهتمام السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء الخطو الحديدية، كان من ورائها تحقيق ثلاثة أغراض :

1.ربط أجزاء الدولة المتباعدة مما ساعد على نجاح فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على الولايات التي تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها.
2.إجبار تلك الولايات على الاندماج في الدولة والخضوع للقوانين العسكرية التي تنص على وجوب الاشتراك في الدفاع عن الخلافة بتقديم المال والرجال.

([1]) مصطفى طلاس : المرجع السابق ،ص 35، 36

3.تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أية جبهة من الجبهات التي تتعرض للعدوان لأنه مد الخطوط الحديدية ساعد على سرعة توزيع القوات العثمانية وإيصالها إلى الجبهات.(1)

المطلب الثالث: وسائـــــــل الاتصـــــــال

ومن وسائل الاتصال الأخرى التي تم إنشاءها في بلاد الشام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لدينا خطوط التلغراف حيث وصلت خطوط التلغراف إلى حلب عام 1862م وإلى دمشق عام 1894م وبدأت سوريا تتمتع بخدمات بريدية منذ سنة 1885م.(2)

ولدينا أيضا البرق : دخل البرق المجال العثماني قبل عهد السلطان عبد الحميد الثاني إذ قام المهندسون الانجليز والفرنسيون بمد الأسلاك البرقية في الدولة بعد حرب القرم مباشرة، وكان استخدام البرق مقصورا في بادئ الأمر ، على الرسائل الحكومية وخدمة الأغراض العسكرية ،و تم استخدامه في عهد السلطان عبد العزيز في خدمة الأمن العام وإبلاغ الحكومة المركزية بأنباء الاضطرابات أو الثورات في الولايات العثمانية.

وزاد النشاط في استعمال البرق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وتوسع استعماله ولم يعد مقصورا على الأعمال الحكومية، ودخل في حياة الناس الخاصة الذين أقبلوا على استخدامه، ما زاد في إيرادات الحكومة من هذا المرفق الجديد (3) وأرسلت السلطات العثمانية بعثات علمية إلى باريس لدراسة استخدام أحدث أجهزة البرق، وحل

(1) علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط) الجزء الثاني ، ط ، مكتبة حسن العصرية ، بيروت - لبنان ، 210 ، ص208، 209

ملاحظة : يعتبر الخط الحجازي من أهم المشاريع التي تم بناءها في العهد السلطان عبد الحميد الثاني في منطقة بلاد الشام ، لم له من فوائد عظيمة .

(2) هشام سوادي هشام : المرجع السابق ، ص98

(3) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 525

موظفوا البرق العثمانيون محل الموظفين الأوروبيين ، ولم ينته القرن التاسع عشر حتى غطت الشبكات البرقية معظم أراضي الدولة وربطتها باسطنبول . [1]

المطلب الرابع : العملة في بلاد الشام ومصارفها

1/ العملـــــــــــة

كان النظام النقدي العثماني هو النظام السائد في معظم الأقطار العربية، الواقعة شرقي الوطن العربي الذي كان خاضعا للحكم العثماني، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى تقريبا ، و حتى أواخر القرن التاسع عشر كانت الليرة الذهبية هي الوحدة النقدية للبلدان العربية الآسيوية على وجه الخصوص، وذلك بعدما خرجت الدولة العثمانية عن القاعدة المعدنية الثنائية لتصبح على قاعدة الذهب في عام 1890، وكانت هناك نقود فضية ونحاسية تعمل في المدفوعات الصغيرة، وليرات ذهبية – عثمانية وانجليزية وفرنسية – تستعمل في المدفوعات الكبيرة، وأعلنت تركيا التداول الإجباري بالعملة الورقية التي بدأ إصدارها منذ عام (1862م) ولكنها لم تلق قبولا عاما، خصوصا في المناطق الريفية فبقى تداولها لذلك محدودا رغم أنها كانت قابلة للتحول إلى ذهب وقد تزعزعت ثقة الناس بها خلال الحرب سبب الزيادة الكبيرة في حجم الصادر منها والانخفاض المستمر في قيمتها.[2]

2/ المصارف

الصيرفة وأنظمة الائتمان : لعل من أهم الآليات لتغلغل رأس المال ألأوروبي وتطور اقتصاد السوق واندماج فلسطين في الاقتصاد العالمي نظام الصيرفة وغيره [3] من

---

(1) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 525
(2) عبد المنعم السيد علي : التطور التاريخي للأنظمة النقدية في الأقطار العربية ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص 41
(3) سميح فرسون : المرجع السابق ، ص 90

أنظمة الائتمان التي اقتضاها ، صعود تجارة التصدير والاستيراد وكان أول المصارف التي افتتحت ، هو البنك العثماني الإمبراطوري تملكه شركة بريطانية فرنسية ، وقد فتح أبوابه في القدس ويافا في عام 1885 وبعد ذلك بقليل فتحت مصارف أخرى منها: كريدي ليونيه في يافا والقدس والشركة الأنجلو – فلسطينيه ، (وهي مصرف يهودي) والبنك الألماني الفلسطيني في حيفا ويافا والقدس والبنك التجاري الفلسطيني ، كانت هذه المصارف حيوية لتمويل البنية التحتية في أواخر العهد العثماني ومن المشاريع التي أنجزت مرافق الموانئ في يافا ، وحيفا ، وبناء الطرق وسكك الحديد ، وخطوط برق وغيرها وكانت المصارف الحيوية كذلك في عملية تدفق رأس المال من أوروبا والأمريكيين ، وفي بناء المصانع قبيل الحرب العالمية الأولى. [1]

ومن المصارف الأخرى في بلاد الشام لدينا المصرف الزراعي : تحققت فكرة إنشاء مصرف زراعي ، ينقض الفلاح العثماني من جشع المرابين في عام 1887م ، وكانت الدولة، قد فكرت بذلك في عام 1883 م، وأصبح هذا المصرف يقل الودائع بفائدة 4 % وكان مقره في اسطنبول، وانتشرت فروعه في ولايات الدولة ومن جملتها ولاية سورية على هذا المصرف، إلا أن الفائدة منه كانت محدودة لأن رأسماله كان قليلا ن وفكرت الدولة في عام 1910 في إنشاء مشروع للآلات الزراعية في دمشق، وبيع هذه الآلات للفلاحين بالتقسيط ، كما خصصت وزارة الزراعة مبلغ (1800) ليرة عثمانية لإنشاء مدرسة وحقل نموذجي في لواء حماه وحاولت ولاية سورية تطبيق الزراعة السابقة فبذلت مساعيها لبيع الأراضي الأميرية للفلاحين ، كما اهتمت بتوطين البدو عن طريق مدهم برأسمال زراعي واهتمت الولاية بأحوال طائفة الدروز وبذلت جهودها [2]

---

(1) سميح فرسون : المرجع السابق ، ص 90

(2) عبد العزيز محمد عوض ، المرجع السابق ، ص 267

لدى رؤسائهم بحثهم على الاستقرار ووضع المشروع تلو المشروع لإصلاح منطقتهم وتحاول إنشاء المدارس في جبل الدروز. [1]

المبحث الثاني: الإصلاحات الاجتماعية

المطلب الأول: تركيبة المجتمع

- تميز الحكم العثماني للمجتمع العربي بالسطحية وعدم القدرة على التغلغل والغوص في أعماق حياة السكان، في الوقت نفسه لم يعنى كثيرا بما يجري في العالم، لأن الشعب العربي، كان منغلقا على نفسه محتفظا بتنظيماته العائلية والقبيلة وعاداته وتقاليده ولغة الكلام رغم ذلك كان هناك تأثير وتأثر، وإذا ألقينا نظرة على المجتمع العربي نجد فيه الطبقات التالية:

1/ طبقة الحكام والولاة: وهم من الأتراك وهؤلاء يمارسون الحكم، ويشكلون قمة الهرم وهمهم الأول جمع الثروة.

2/ طبقة الاقطاعين: وهم أصحاب الاقطاعات العسكرية وبعض الملتزمين الذين يقعون في المرتبة الثانية ولا يختلف همهم عن الطبقة الأولى.

3/ طبقة رؤساء العشائر والشيوخ والأشراف: الذين لهم امتيازات في البلاد بحيث يعيشون في بحبوحة.

4/ طبقة العلماء: وهؤلاء لهم امتيازات بحكم مكانتهم الدينية من عائدات الأوقاف والعقود التي يقومون بها، وهم معفون من كل ضريبة طلبا لرضاهم. [2]

---

(1) عبد العزيز محمد عوض ، المرجع السابق ، ص 267

(2) جميل بيضون وآخرون : المرجع السابق ، 1991، ص67 ، 68

5/ طبقة أهل الذمة: وهم الطوائف غير الإسلامية، المسيحيون واليهود وهؤلاء عليهم دفع الجزية، ولهم نظمهم و تقاليدهم الخاصة.

6/ طبقة عامة الشعب: وهم الفلاحون وأصحاب الحرف، وعليهم العبئ الأكبر فهم الذين يجندون وعليهم دفع الضرائب المتعددة. (1)

بالإضافة إلى تقسيم المجتمع العربي في العهد العثماني: وقد كان يقسم إل قسمين الأكثرية وهم الكسبة والفلاحين والحرفيين ويقع في الغالب العبئ الأكبر من الضرائب على هذه الفئة، وأما القسم الثاني هم الحكام والذين كانوا لايدفعون أي ضريبة، بل كان جل همهم جمع الضرائب واستخدامها لدعم مراكزهم وسلطانهم ومن المعروف أن الدولة العثمانية عدت جميع الخدمات (التعليمية الاجتماعية والصحة) خارجة عن مسؤولية الحكام، وقد تركتها للمحسنين من الشعب الذين كانوا يقدمون الأموال، بصورة خاصة لأغراض التعليم لذلك نجد أن المؤسسة التعليمية قامت بدور كبير في المحافظة على اللغة العربية .(2)

المطلب الثاني: الطوائف المذهبية في بلاد الشام

فيمثل أهل السنة أغلبية واضحة إلا أنها تجابه تكتلات مذهبية، مثل الدروز والعلويين والنصرية، إلى جانب تكتلات مسحية الأمر الذي جعل الشام عرضة للصدمات الدموية الطائفية، سواء بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين والمسحيين أو بين المسحيين أنفسهم. (3)

(1) جميل بيضون وآخرون : المرجع السابق ، 1991، ص67 ، 68

(2) بثينة عباس الجنابي :" نظم الحكم والإدارة العثمانية في الوطن العربي ، " مجلة كلية التربية الإسلامية (قسم تاريخ) ، العدد 71 ، 2011، ص 9

(3) عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العرب (مصر والعراق) (دط) دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، (دس) ص 28

الاسماعليون : وهم من أقدم الفرق الشيعة ومركزهم في سلمية وينسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق حفيد الحسين بن علي بن أبي طالب، ولكن إسماعيلية الشام لا تعترف بهم مع أن المغول اجتاحوهم بقسوة إلا أنهم ظلوا، قوة لها بأسها في الشام، حيث أنها عصبية شديدة التماسك وهم يعترفون بزعامة أغا خان.

والدروز: يمثلون انشقاقا عن الإسماعيلية، ولكن لهم معتقداتهم التي ينفردون بها مثلهم في ذلك مثل النصيرية والإسماعيلية أيضا، وحيث أن عقيدتهم هذه كانت تلقى معارضة باقي الطوائف فقد كان من الطبيعي أن يلجأ هؤلاء الدروز إلى المناطق الجبلية فاتجهوا إلى جبل لبنان واندمجوا مع السكان هناك .

أما عصبية النصيرية الشيعة ، فصورة أخرى من العصبيات الجبلية وهي متمركزة في منطقة اللاذقية وعرف الجبل الذي تعتصم به بجبل العلويين، ومع قلة عددهم إلا أن أحداثهم التاريخية عديدة ، بسبب الصدام العنيف والمتوالي مع العصبيات المجاورة لهم ومع الحكومات بصفة عامة. والعصبية الشيعية الثالثة وهي المتاولة*، في جبل عامل شرقي مدينة صيدا وفي سهل البقاع وخاصة في بعلبك وضواحيها .[1]

ثالـــــثا: المسحيون

– **الكاثوليك :** تعتبر طائفة الكاثوليك أكبر الطوائف العددية بين الطوائف المسيحية في بلاد الشام ، فهي تضم بين جناباتها العديد من الأعراق المختلفة مثل الموارنة والأروام

([1]) عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص 28

* المتاولة : أول مرة أطلق لفظ المتاولة على الشيعة في الشام ، كان في أواخر القرن السابع عشر ، حيث كانت الفوضى ضاربة في بلاد الشام ، وكان كل فريق يعتمد على قوته ، بحيث انتشرت الحماسة الوطنية مكان أبناء هذه البلاد يلقبون أنفسهم بني متوال وهذا اللقب " متاولة جمع متوال " قد يكون مشتقا من توالي أي من تتابعهم واسترسالهم خلفا عن سلف في موالاة آل البيت ، ويلاحظ أن هذا اللقب لم ينشر إلا بين اللذين خاضوا غمار الحروب في ذلك العصر مثل سكان بلاد الشام وبعلبك وكسروان ، أما الذين لم يندمجوا في هذا السلك مثل سكان دمشق وحلب فلم يطلق عليهم لفظ متاولة . أنظر : عبد الرزاق عيىى، المرجع السابق نفسه ، ص 31

واللاتين والسريان ، وكانت هذه الطائفة مرتبطة في الأساس بروما وعملت الإرساليات الشيوعية واللاتينية على تقديم كافة الخدمات إليهم وخصوصا التعليم والحماية السياسية وفي الوقت ذاته مثل الكاثوليك حجر عثرة شديدة الوطأة أمام الإرسالية الأمريكية في محاولتها العمل بين الكاثوليك عموما ، وفي مقدمة الطائفة الكاثوليكية يأتي الموارنة وهي تنسب لرجل يقال له مارمارون ظهر في بعض نواحي نهر العاصي بسوريا ويطلق حوله العديد من المعجزات والأساطير .

- **الروم الكاثوليك** : انشق الروم الكاثوليك عن طائفة الروم الأرثودكس ، لذا فقد قاموا باضطهادهم وكثيرا ما كانت تحدث الخلافات بين الطرفين خصوصا قبل اعتراف الدولة العثمانية بالكاثوليك لذا فقد تسلط عليهم البطريرك الأرثودوكسي ، فكان القساوسة الكاثوليك لا يستطيعون القيام بمهامهم الدينية مثل تجنيز الموتى وعقد الزيجات إلا بإذنه. ولدينا أيضا السريان الكاثوليك واللاتين الكاثوليك .

ثانيـــا : الأرثودكس : ضمت طائفة الأرثودكس العديد من الأجناس التي تنتمي للمذهب الأرثودكسي وفي مقدمة هذه الأجناس الروم الأرثودكس و الأرمن والسريان الأرثودكس.

أ/ الروم الأرثودكس: وهم ذو أصول عربية فهم ينتمون للغساسنة الذين كانوا في سوريا عند الفتح العربي، وساعدوا الفاتحين ضد الرومان مغلبين بذلك عنصر يتهم على دينهم وبعد الفتح العربي الإسلامي أسلم قسم منهم ، بينما قسم آخر بقي على دينه القديم وتعرب لسانهم بصورة نهائية منذ القرن الثالث عشر تاركين لغتهم الأرمينية – وهي لغة السيد المسيح – ماعدا فئة قليلة منهم في بلاد قلمون وقرية معلولا . [1]

([1]) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: التنصير الأمريكي في بلاد الشام (1834 – 1914) ، ط ، مكتبة مدبولي القاهرة ، مصر ، 2005 ، ص 45 ،54

ب/ الأرمن* الأرثودكس: أسفرت الحروب المتعاقبة بين الدولتين الفارسية والعثمانية عن تقسيم أرمينيا بينهما، فأطلق اسم "أرمينيا العثمانية" على ست ولايات وهي وان، وتبليس وخريوط وسيواس وديار بكر وأرضروم، أطلق اسم أرمينيا الفارسية على المنطقة الممتدة على الضفتين الشرقية والغربية لنهر الرس، وقد استولى عليها الروس منذ عام (1828م) ولدينا السريان الأرثودكس والأقباط الأرثودكس.

ثالثا: اليهود: سمح السلطان محمد الفاتح (1541 – 1481) لليهود باستقرار في اسطنبول وعين لهم " حاخام باشا" وبعد طرد اليهود من اسبانيا عام 1493 أصدر السلطان بايزيد الثاني (1481 – 1516) مرسوما يقضي بحسن معاملتهم في الدولة العثمانية شأنهم شأن غير المسلمين باعتبارهم من أهل الذمة ،وفي ظل هذه التسهيلات وفد اليهود على بلاد الشام حيث عملوا في التجارة لموانئ الشام ، وانقسم اليهود إلى قسمين هما : أجانب مهاجرون، ومستوطنون، وكان الجانب أكثر عددا من المستوطنين ومعظمهم يقطنون في القدس وحيفا ويافا وصفد وطبريا ودمشق وحلب وبيروت وصيدا[1]

المطلب الثالث: المساحة والسكان لأقاليم بلاد الشام

بما أن المنطقة مقسمة إلى ولايات وسناجق فالبطبع المنطقة سوف تختلف من حيث المساحة وعدد السكان رغم أنها منطقة واحدة لذلك فمن السياسة العثمانية أنها كلما [2]

([1])عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى : المرجع السابق: ص 55، 56، 57، 58

* الأرمن : من الأقليات اللغوية الدينية الوافدة على الوطن العربي ، وتنتمي لغتهم إلى أسرة اللغات الهند أوروبية وهي لغة مكتوبة ذات تراث ثقافي غني و مدون ويعيش معظم الأرمن الموجودين في الوطن العربي ببلاد الشام ، والتي هاجروا إليها بكثرة بعد المذابح التي تعرضوا إليها على أيدي الأتراك ، وقد حافظوا على كيانهم الطائفي . أنظر عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى ، المرجع نفسه ، ص 55

([2]) محمد ناصر النفزاوي: التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية(1918/1839)، ط1، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس ، 2001، ص24

اتسع عدد سكان في منطقة معينة إلا وجعلتها ولاية لوحدها ولهذا ارتأينا أن ندرس مساحة الشام عدد سكانها لكل ولاية ومتصرف.

ولاية حلب :والتي تشمل متصرفتين، فمساحة حلب 86,000 كلم وعدد سكانها عام1906-1907 995,800ن ساكن ،أما ولاية سورية والتي تشمل على أربع متصرفيات فقد ذكر أن مساحة هذه الولاية 95,900كلم وقدر عدد سكانها سنة 1906-1907ب719,500 ساكن.

ولاية بيروت والتي تشمل خمس متصرفيات، لم يتجاوز مساحتها 16,000كلم، ووصل عدد سكانها 1906-1907 إلى أكثر من نصف مليون ساكن(533,500ن) واهم مايستحق الملاحظة هو أن جزءا كبيرا مما يسمى بفلسطين(متصرفية عكا ،ومتصرفية نابلس) كان تابعا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى لولاية بيروت.

أما الجزء الثاني من فلسطين فكان يقع بين حدود الولاية بيروت الجنوبية وسيناء المصرية، وتعتبر متصرفية قائمة بذاتها تخضع مباشرة لسلطة الأستانة، وتضم قضائي يافا وغزة وقد كانت متصرفية القدس تمتد على مساحة 17,100كلم ويقطنها 341600 ساكن في بدايات القرن العشرين

وتشارك متصرفية القدس في هذا الوضع الإداري متصرفتان أخريات هم متصرفية دير الزور(78,000كلم و 100,000ساكن) ومتصرفية جبل لبنان التي حصلت منذ 1864 على وضع اداري خاص منحها بما يشبه الاستقلال الذاتي ،بضمانة القوى العظمى لم تكن مساحة هذه المتصرفية تتجاوز 3,100 كلم وبالرغم من أن عدد [1] سكانها تقرب من الثلاثة ملايين ساكن(2,890,440) عام 1906- 1907ضمن سلطنة عثمانية التي كانت تضم اثنين وعشرون مليونا من السكان.

(1) محمد ناصر النفزاوي: المرجع السابق، ص 25

المطلب الرابع: الإصلاحات الصحية

في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876- 1909) وسعت السلطات الرعاية الطبية وتدابير الصحة العامة في الأقاليم العربية فزادت –على سبيل المثال – عدد المستشفيات على مستوى البلديات، وضاعفت وظائف أطباء الصحة المدنية، ومواقع عملهم لتجنب الكوليرا والأوبئة المعدية الأخرى التي تأتي بها السفن الأجنبية وخلال الثلث الأخير من القرن (19) ظهرت المستشفيات المجتمعية التي أنشأها المبشرون المسيحيون وعززت هذه المستشفيات بشكل كبير وتوفير الرعاية الصحية وخاصة في الجزء الجنوبي من بلاد الشام، وبذلك يقدم المشرق الأصالة التي أدخلت الطب الحديث والصحة العامة من دون ضغط من قوة خارجية، وبقيت محاربة الأوبئة القادمة من الخارج أولوية فقد اختفى الطاعون من أوروبا ولكنه، كان متفشيا في جميع أرجاء الشرق ، حتى منتصف القرن (19) ولم تكن الكوليرا متوطنة ، لكن المنطقة شهدت عدة جائحات نتيجة التجارة الدولية مع الشرق منذ عام 1831م، وفي محاولة وقف الآثار المدمرة عن الكوليرا قبل كل شيء.

أسس العثمانيون مدرسة الطب في دمشق عام 1903م بالتوازي مع ذلك أسست مدرستان للطب في لبنان كجزء من مشاريع تبشيرية متزامنة ، وأسس الأمريكيون [(1)] مدرسة الطب في الكلية البروتستانتية * السورية (spc) لا حقا الجامعة الأمريكية في بيروت في عام 1866م، وأسس اليسوعيون الفرنسيون مدرسة الطب في جامعة القديس يوسف في عام 1883م، ولم يعمل خريجو هاتين المدرستين في سوريا ولبنان

[(1)] إليزابيث لونغيسيس وآخرون : "الصحة العامة ، مهنة الطب ،وبناء الدولة في الوطن العربي " نظرة تاريخية مجلة المستقبل ، (دع) ، 2011 ، ص 15

* البروتساتنية : هي مجموعة العقائد الدينية والكنيسة المنبثقة عن حركة الإصلاح في أوروبا وهي لغويا مشتقة من كلمة لا تينية الأصل تعني الاحتجاج أو الاعتراض ، أنظر : موسوعة عبد الوهاب الكيالي ، الجزء الأول ، ص134

فقط ، بل عملوا أيضا في الأناضول وفلسطين ومصر، وكان دور المبشرين أساسيا في تأسيس المستشفيات في المنطقة.[1]

لقد كان اختيار لغة تعليم الطب قضية وطنية ، وكان لذلك تبعات طويلة الأمد فقد تخلت مدرسة الطب في دمشق عن اللغة التركية لمصلحة اللغة العربية في عشرينات القرن الماضي ، واستخدمت مدرسة الطب في الكلية البروتستانتية اللغة العربية لمدة عقدين ثم تحولت إلى الانجليزية في عام 1882م، أما في المدرسة الطبية في جامعة القديس يوسف في بيروت ، فقد درس الطب باللغة الفرنسية دائما ، وكان اختيار لغة التعليم – ومازال إلى الآن – يحدد الوجهة التي يذهب إليها. [2]

خامسا : الاهتمام بالمرأة

واهتم بالمرأة وجعل للفتيات دارا للمعلمات ومنع اختلاطهن بالرجال وفي هذا يذكر السلطان في معرض الدفاع عن نفسه أمام اتهام ، جمعية الاتحاد والترقي له بأنه : "(لو كنت عدوا للعقل والعلم فهل كنت افتح الجامعة ؟ ولو كنت هكذا عدوا للعلم ، فهل كنت أنشئ لفتياتنا اللاتي لا يختلطن بالرجال ، دار للمعلمات ؟)".

وقام بمحاربة سفورالمرأة في الدولة العثمانية ، وهاجم تسرب أخلاق الغرب إلى بعض النساء العثمانيات، ففي صحف اسطنبول في 3 أكتوبر 1883م ظهر بيان حكومي موجه إلى الشعب، يعكس وجهة نظر السلطان شخصيا في رداء المرأة يقول هذا [3] البيان: (أن بعض النساء العثمانيات اللائي يخرجن إلى الشوارع في الأوقات الأخيرة

([1]) إليزابيث لونغيسيس وآخرون : المرجع السابق ، ص16

* اليسوعيون : جماعة تأسست في عام 1534 من قبل الفارس الاسباني اخيابوس ليولا ، بعد في إحدى المعارك ، وعزمه على تكريس بؤيج حياته لخدمة الدنيا ، وكانت غاية المسيحية وتأسست الكنيسة الكاثوليكية وقد كثر أعضاء بعد اعترف بها البابا سنة 1540م ونظمت صفوفها تنظيما عسكريا صارما اعتمد السيوعيون على التربية لتحقيق أهدافهم واستمروا التعليم من أرسطو اليهودي ، فأرغموا طائفة منهم على اعتناق اليهودية ، أنظر: عبد الوهاب الكيالي ، ج7:المرجع السابق ،ص 413

([2]) إليزابيث لونغيسريس : المرجع نفسه ، ص 16

([3]) علي محمد الصلابي: المرجع السابق ، ص203

يرتدين ملابس مخالفة لشرع، وإن السلطان قد أبلغ الحكومة بضرورة اتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على هذه الظاهرة، كما أبلغ السلطان الحكومة أيضا بضرورة عودة النساء إلى ارتداء الحجاب الشرعي الكامل بالنقاب إذا خرجت إلى الشوارع)، وبناءا على هذا فقد اجتمع مجلس الوزراء واتخذ القرارات التالية :

- تعطي مهلة شهر واحد يمنع بعده سير النساء في الشوارع إلا إذا ارتدينا الحجاب الإسلامي القديم وينبغي أن يكون هذا الحجاب خاليا من كل زينة ومن كل تطريز.
- يلغي ارتداء النساء النقاب المصنوع من القماش الخفيف أو الشفاف، وبالتالي ضرورة العودة إلى النقاب الشرعي الذي لايبين خطوط الوجه.
- على الشرطة – بعد مضي شهر على نشر هذا البيان – ضمان تطبيق ما جاء فيه من قرارات بشكل حاسم ، وعلى القوات الضبطية التعاون مع الشرطة في هذا .
- صدق السلطان على البيان بقراراته الحكومية .
- ينشر هذا البيان في الصحف ويعلق في الشوارع .

وكان يرى السلطان عبد الحميد : (أن المرأة لا تساوى مع الرجل من حيث القوامة ويقول : مادام القرآن يقول هذا فالمسألة منتهية ولا داعي للتحدث عن مساواة المرأة بالرجل، ويرى أن فكرة هذا المساواة إنما جاءت من الغرب).

كما كان يدافع عن تعدد الزوجات ، في وقت كان الإعلام العثماني يثير هذه القضية معترضا عليها ، ويقول السلطان : (لماذا يعترض بعض المثقفين على هذا الأمر ولماذا لا يعترضون على وجوده في أماكن أخرى غير الدولة العثمانية، في بعض أماكن أوروبا وأمريكا ؟ ويؤكد السلطان : أن مبدأ تعدد الزوجات مباح في الإسلام فماذا يعني الاعتراض عليه ؟) [1]

([1]) علي محمد الصلابي : المرجع سابق ، ص 204

ولم يكن في عهده للمرأة رأي في شؤون الدولة مهما كانت هذه الشؤون وإنما دور المرأة في البيت وتربية الأجيال وكان يعامل المرأة معاملة كريمة نادرة ، ففي اليوم التالي لتنصيب السلطان عبد الحميد الثاني على عرش الدولة العثمانية قابل زوجة أبيه وهي التي أحبها حبا بالغا وقبل يدها وقال لها :

(بحنانك لم أشعر بفقداني أمي، وأنت في نظري أي لاتفترقين عنها ، ولقد جعلتك السلطنة الوالدة ، يعني أن الكلمة في هذا القصر لكي ، لكني أرجوك –و أنا مصر على هذا الرجاء – ألا تتدخلي بأي شكل من الأشكال في أي عمل من أعمال الدولة ، كبر أم صغر.) [1]

والدليل على أنه السلطان عبد الحميد لم يكن ضد التعليم ومابين قوسين المرأة ، فقد شهدت الفترة الأخيرة قبل مطلع القرن العشرين ، حركة نسائية كبرى ، فقد شاركت نساء بيروت في مؤتمرات دولية نسائية، إذ مثلث هناء كسباني كوراني فتيات بيروت ، في مؤتمر النساء العمومي في شيكاغو عام 1893 ومثلث ألكسندرا الخوري أنرينو نساء بيروت، مؤتمر السلم العام في باريس عام 1900، ومثلث ماري كساب ومريم بارودي المدارس العليا في سوريا، وفي مؤتمر التلميذات العالمي بالأستانة عام 1911. وتدل وثائق1858 –1914 : "على أن تغيرا نوعيا قد طرأ على الحياة الفكرية في بيروت ، لجهة تزايد النساء المثقفات اللواتي شاركت في مجلات التعليم والصحافة والأدب والعمل الاجتماعي –ولعب بعضهن دور الريادة في النهضة النسائية في بيروت أبرزهن جوليا طعمة ، مديرة كلية البنات الإسلامية ، ولبيبة الهاشم صاحبة مجلة " فتاة الشروق " وسلمى كساب إحدى المسؤولات عن جمعية " شمس البيروتية".....الخ. [2]

---

(1) علي محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص 204 ، 205

(2) مسعود ظاهر : الدولة والمجتمع في المشرق العربي (1840- 1990) ، (دط) دار الآداب ، بيروت ، لبنان 1991 ، ص 356

المبحث الثالث: الإصلاحات الثقافية

المطلب الأول: التعليم

لقد اهتم السلطان عبد الحميد الثاني اهتماما كبيرا بالتعليم ، فأقيمت مختلف المدارس التخصصية العالية ووسعت المدارس القديمة ، مستهدفة من وراء ذلك تنشئه جيل من الخبراء والموظفين، ذوي الكفاءة العالية يمكنهم تحمل أعباء القيام بالخدمة في المرافق العامة، التي بدأت تتسع قاعدتها ، كذلك أولى السلطان عبد الحميد الثاني التعليم الأولى والمتوسط عناية خاصة، حتى يقوم بتغذية المدارس السابقة من ناحية، ورفع المستوى التعليمي العام في المجتمع من ناحية أخرى ، بغية أن يتحقق نوع من التكييف مع النظم القائمة. [1]

بحيث لما عين مدحت باشا واليا على سوريا في 24 نوفمبر 1878م، وبقي في منصبه حتى 31 أفريل 1880م سعى لتنظيم الإدارة والضرائب، وعمل على تشجيع الحركة التعليمية، وإليه الفضل في انتشار التعليم الوطني، إذ لاحظ أنه لم يكن للحكومة سوى بضع مدارس ابتدائية تسمى مكاتب الصبيان، يقرأ فيه الأطفال القرآن الكريم بينما انتشرت مدارس الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية وتقدمت كثيرا في مضمار التعليم الحديث. [2]

لذلك قام بجمع الإعلانات وفتح المدارس، كما أنشأ مدرسة للصنائع، وأخرى للفنون وملجأ للأيتام، وأصلح المساجد وجعلها مدارس، ووضع عقوبة لولي الطفل إذا بلغ ابنه السادسة ولم يرسله إلى المدرسة واستعان بأموال الأوقاف في أمور التعليم [3] وتأسست في عهده جمعية المقاصد الخيرية، لإنشاء المدارس وتمكنت من افتتاح خمسة وثلاثين

---

(1) مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي : المصدر السابق ، ص 32

(2) هشام سوادي هشام : المرجع السابق ، ص 99

(3) محمدعبد الرحمان برج : التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، (دط) ، دار التعليم الجامعي ، عمان ، الأردن 2010 ، ص 92

مدرسة، وارتفع عدد الطلاب إلى خمسة آلاف طالب زاد عدد الطالبات إلى ألفين بحيث ضمت مدارس دمشق خمس طلاب الشام وسدس طالباتها. وكانت هناك شخصية عربية من وراء مدحت تحثه وتقنعه أن الخطر كل الخطر أن ينهل الشباب الإسلامي من مدارس الإرساليات التبشيرية تلك هي شخصية الطاهرالجزائري ، لقد اقنع الشيخ الطاهر الجزائري مدحت باشا بذلك ، كما أقنع بهاء بك رئيس ديوان الولاية، وأعد الشيخ طاهر مشروعا لإنشاء جمعية المقاصد الخيرية تكون شبه رسمية تعينها الحكومة بالمال وتخصص لها أبنية وقفية وحكومة، وتوجه نشاطها لفتح المدارس، وتكون لها مطبعة لطبع الكتب، وظل الشيخ طاهر يدافع عن فكرته في إنشاء هذه الجمعية بعد نقل مدحت إلى ولاية أزمير ونجحت الجمعية في مهمتها وسرعان ما انتشرت فروع هذه الجمعية التي عرفت باسم (جمعية المقاصد الخيرية) في جميع أنحاء الولاية وقد استطاعت هذه الجمعية أن تنشئ 8 مدارس بلغ عدد التلاميذ نحو (1200) تلميذ، كما أنشأت مدرسة للبنات، استوعبت حوالي 50 تلميذة ، لقد نالت سوريا نصيبا جيدا من الإصلاحات العثمانية، ولم تأت عام 1883م حتى كان فيها أكثر من 600 مدرسة ابتدائية في المدن وقرابة 800 مدرسة في الريف يتلقى العلم فيها أكثر من ستين ألف طالب وطالبة ، يعلمهم 2334 معلما ومعلمة فضلا عن مدرسة للطب تأسست عام 1902 م [(1)]

الكتاتيب : وكانت تقام عادة بالقرب من المساجد أو في المساجد نفسها أو في الزوايا أو في منزل الشيخ المعلم نفسه ، ويبدأ تعليم الطفل فيها منذ سن مبكرة ويقتصر التعليم في المرحلة الأولى على القرآن الكريم تلاوة وحفظا عن ظهر قلب، ثم القراءة والكتابة والحساب والمعارف الدينية واللغوية، وكان يطلق على المعلم في الكتاب لقب الشيخ [(2)]

([1]) هشام سوادي هشام : مرجع سابق ، ص 100

([2]) محمد أحمد : الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876- 1918) مجلة دمشق ، المجلد 27 ، العدد الأول و الثاني ، 2011 ، ص 309

أو المؤدب وكان التعليم في الكتاب مجانا إذا كان مؤسسها من الأغنياء فقد أوقفها لهذا الغرض ، أما إذا كان الكتاب للشيخ فإنه كان يتقاض من كل تلميذ أجرة زهيدة تعرف" بالخميسية " لأن الشيخ كان يتسلمها كل خميس من الأسبوع، أما المرحلة الثانية من التعليم فكان الطالب يحضر فيها الفقه الإسلامي والحديث في موطأ مالك، وصحيح البخاري، والجامع الصغير وتراجم الرجال بشكل عام، وعندما ينتهي الطالب من المرحلة الدراسية في الكتاب كانت تقام له حفلة ، وهي وليمة يدعو لها والده مع الشيخ والأصدقاء وينشدون المدائح النبوية لهذه المناسبة. [1]

ومن المدارس التي أنشأها السلطان عبد الحميد الثاني : المدرسة السلطانية للشؤون المالية عام1878م، ومدرسة الحقوق الشهانية في السنة نفسها ، ومدرسة الفنون الجميلة عام1879م ومدرسة التجارة عام 1882م ومدرسة الهندسة المدنيةعام1883م ومدرسة الطب البيطري عام1889م ومدرسة الشرطةعام1891م ومدرسة الجمارك عام 1892 ومدرسة الطب عام 1898 وغيرها من المدارس الأخرى التي بلغ عددها آنذاك ثمانية عشر مدرسة.

وترك السلطان عبد الحميد الثاني المدارس الدينية التعليمية تؤدي رسالتها التعليمية في تدريس العلوم الدينية واللغة العربية دون أن يتدخل في شؤونها ، بل أنشأ إلى جانبها عددا كبيرا من المدارس الراشدية (الإعدادية المتوسطية) بلغ عددها في ولايات الدولة العثمانية 29 مدرسة. [2]

أيضا النشاطات الأجنبية في مجال التعليم، فقد فتح المبشرون الأمريكان البروتستانت مدارس مختلفة في بيروت وحلب وزحلة، ودمشق وإنشاء الكلية السورية [3]

---

(1) محمد أحمد : المرجع السابق، ص 309
(2) مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي : المصدر السابق ، ص 22 ، 23
(3) هشام سوادي هشام : المرجع السابق ، ص 101 ، 102

البروتستانتية التي أصبحت فيما بعد نواة الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1866 وضمت في سنتها الأولى كلية العلوم، ثم افتتحت كلية الطب بعدها بسنة وكانت اللغة العربية لغة التدريس وسرعان ما تكاملت الجامعة حيث أنشأت عام 1871م كلية الصيدلة ومنذ عام 1882م جعلت الانجليزية لغة تدرس فيها، وتبع إنشاء كلية الطب إنشاء كلية التجارة في عام 1900م وكلية طب الأسنان وأخرى للزراعة عام 1910 وازداد هذا النشاط العلمي لمؤسسات التبشيرية الأمريكية واتجهت البعثات الكاثوليكية ومنها اليسوعية إلى إنشاء جامعة مماثلة في بيروت باسم جامعة القديس يوسف. [1]

المطلب الثالث : الطباعـــــــــة

لم تكن الطباعة مشهورة في الوطن العربي قبل القرن 19م، فقد أنشئت أول مطبعة في لبنان في دير قزحيا عام 1601م ثم أنشأت عدد من المطابع في أنحاء الوطن العربي ساهمت في إحياء التراث ونشر الكثير من المؤلفات العلمية والأدبية والكتب العربية القديمة المترجمة أو المعربة ، فضلا عن الكتب المؤلفة في شتى مجالات المعرفة فكان لها دور بارز في نشر الكتب بين أكبر عدد من الناس وكل فئات الشعب، وإيصالها إلى شريحة المثقفين في أنحاء الوطن العربي، فلم يعد العلم والاطلاع قاصرا على الأغنياء فحسب، وإنما أصبح موصولا لدى كافة طبقة الشعب. [2]

بالنسبة للطباعة في بلاد الشام ، حيث نجد أن بلاد الشام عرفت الطباعة قبل مصر (لأن مصر عرفت الطباعة مع حملة نابليون بونابرت على مصر)، ولا سيما لبنان لاحتكاكها ببلاد الغرب خاصة إيطاليا إذ ظهرت أول صحيفة في البندقية سنة [3] 1566 م وتسمى غازته ثم ظهرت في بلاد الشام متأخرة عند ذلك التاريخ في ولاية طرابلس

(1) هشام سوادي هشام : المرجع السابق ، ص 101 ، 102
(2) منال سليم سالم النحال : الشعرالعربي في القرن التاسع عشر : أغراضه ، ظواهره ، اتجاهاته ، قضاياه ، لنيل شهادة الماجيستر ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، 2013، ص31
(3) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 147

في دير قزحيا بواسطة بعض رهبان الطائفة المارونية سنة 1610م، وقد جلب هؤلاء الرهبان فكرة الطباعة من روما بعد انتهاء مدة بعثتهم، ثم عرفت العاصمة العثمانية الطباعة بعد ذلك عام 1728م بصورة رسمية بأمر خاص من السلطان تدعمه فتوى شيخ الإسلام عبد الله أفندي، وكان هذا إيذانا بانبثاق فجر جديد للنهضة السورية في تلك الآونة، أما بالنسبة للطباعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فصارت المطابع تعمل بالبخار وتصدر أمهات الكتب ونفائسها ففي العام 1881م طبع في مطبعة بيروت الأمريكية (57500) مجلدا، وبيع منها في السنة نفسها حوالي (15715) مجلدا أدبيا و(23472) مجلدا علميا ، وكان يوجد في دمشق أربع مطابع هي : مطبعة الولاية ، ومنها تطبع الجريدة الرسمية بالعربية والتركية ومطبعة الحجر وهي للحكومة، ومطبعة مجلس المعارف، وكانت قبلا لجمعية المقاصد الخيرية، ومطبعة حبيب خالد واستمر عمل المطابع وجهدها وازداد اتساعا بقية القرن التاسع عشر حتى عام 1908، نهاية عهد الخليفة عبد الحميد الثاني، فأثمر آلاف الكتب العلمية والأدبية والدينية والتاريخية، مما أحدث نهضة علمية شاملة في أرجاء بلاد الشام، عدت جزاءا من النهضة العربية العلمية الحديثة . [1]

المطلب الثالث : الصحافـــــــة

ارتبط اسم الطباعة مع الصحافة نظرا لتعرف بلاد الشام عليهما في فترة متلاحقة إضافة لكونهما متلازمان، من حيث كونهما مظهرا من مظاهر انتشار الوعي والثقافة والتعليم واعتماد إحداهما على الأخرى إذ لولا الطباعة ما انتشرت الصحافة لأنها الوسيلة الأساسية لظهورها. [2]

---

(1) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 148
(2) منال سليم سالم النحال : المرجع السابق ، ص 32

بحيث تعتبر الصحافة من الصناعات الحديثة التي عرفها العرب في نهاية القرن الثامن عشر في مصر مع قدوم حملة نابليون بونابرت* عام 1798، إذ جلب معه مطبعة حديثة تطبع باللغتين العربية والفرنسية، وكانت أولى الصحف العربية ظهورا في مصر عام 1798 صحيفة البنية أو الحوادث اليومية، وأول صحيفة عربية ظهرت في اسطنبول عام 1855 هي مرآة الأحوال أنشاها رجل عربي هو رزق الله حسون الحسبي* (1)

ويذكر أيضا أن الصحافة قد ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر رسمية أميرية ثم مابرحت أن انتقلت إلى ملكية الأفراد ،وشهدت ازدهارا وانتشارا كبيرين بعد عام 1850 وكان للطوائف المسيحية في بلاد الشام ، وخاصة في بيروت وحلب الدور الأكبر في إنشاء الصحف وتطويرها ،وقد أنشا خليل خوري عام 1858 جريدة الأخبار في بيروت أطلقت عليها لفظ جرنال (كلمة فرنسية معناها يومي)، ثم تتابع إنشاء الصحف والمجلات في هذه الفترة ،وظهرت منها صحف البعثات التبشيرية مثل مجموع الفوائد وهي أول صحيفة عربية تصدر على الأرض الشامية ،ومرآة الأحوال في اسطنبول أصدرها رزق الله حسون كما ذكر سابـــــقا .[2]

ومن بين الصحف والمجلات التي ظهرت في بلاد الشام لدينا : "دمشق " جريدة أسبوعية سياسية ظهرت عام 1878 باللغتين العربية والتركية لصاحب امتيازها (3)

([1]) منال سليم سالم النحال : المرجع السابق ، ص 32

* نابليون بونابرت : ولد في سنة 1769 في مدينة أجاكسو عاصمة كورسيكا قبل عام من تنازل جنوده عن الجزيرة وضمها لفرنسا ، ينتمي إلى أسرة تكساتية الأصل من سلالة إيطالية هاجرت أسرته إلى كورسيكا بعدما أصيبت بالفقر ،والده شارل بونابرت وأمه ليتشا راموليتا من الطبقة الوسطى الكورسيكية.

* رزق الله حسون الحلبي : ولد في حلب عام 1825 في أسرة كريمة أرمينية الأصل سافرت إلى الاستانة وعينة فؤاد باشا على أخبار العرب ، وأيامهم ، كما كان روايا لا شعارها ، وقد شن على الحكومة التركية حرب شعراء ، وتوفي بعيدا عن بلاده عام 1880 من آثاره أشعر الشعر ، النفثات ، ينظر : منال سليم سالم النحال : المرجع السابق ، ص 32

([2]) منال سليم سالم النحال : المرجع نفسه ،ص 33

([3]) فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، المجلد الأول ، (دط) ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، لبنان ، 1913 ص 198 ، 199

أحمد عزت باشا العابد، وكان لدى تأسيس جريدة "دمشق" رئيسا لقلم المخابرات التركية والعربية، في حكومة سوريا على عهد وليها جودت باشا، المؤرخ الشهير الذي حرضه على إنشائها، وقد نشر على صفحاتها فصولا كثيرة وأشار فيها إلى مآثر العرب ومفاخرهم وفضائلهم. "مرآة الأخلاق" هي مجلة نصف شهرية ظهرت في غزة كانون الثاني 1886 لصاحبها سليم وحنا غنجوري ، فكانت تنشر بشكل كتاب .

جريدة " الشهباء " صحيفة أسبوعية عامة المباحث ظهرت في 10ماي1877 لصاحب امتيازها هاشم عطار وطبعت في المطبعة العزيزية، ثم انضم إليه عبد الرحمان الكواكبي وميخائيل بن أنطوان صقال واشتركوا في إصدارها، وصادف ظهورها على اثر إعلان الحرب الشهيرة بين الدولتين العثمانية والروسية فكانت تنشر أنباء هذه الحرب ، مع سائر الحوادث الداخلية والخارجية، وبعد ظهور العدد الثاني منها تعطلت بأمر كامل باشا والي حلب ثم أعيد نشرها ،ولدينا أيضا "الاعتدال"وهي صحيفة أسبوعية سياسية ظهرت في 25جويلية1879 لمنشئها السيد عبد الرحمان ابن الشيخ احمد الكواكبي بدلا من جريدة الشهباء المار ذكرها ، وكان نصفها مطبوعا باللسان العربي ونصفها الآخر باللغة التركية تعميما لفوائدها بين سكان ولاية حلب الذين يغلب فيهم العنصر التركي. [1] وفي أول ماي 1876 اصدر يعقوب صروف وفارس نمر في بيروت العدد الأول من مجلة "(المقتطف)" ذات الاتجاه العلمي الأدبي ،وأصدر خليل سركيس في عام 1877 جريدة "(لسان المحال)"، مجلة "الجنان" للمعلم بطرس البستاني سنة 1870 ثم مجلة " النحلة " التي أصدرها لويس الصابونجي عام 1870 وعند صدور الدستور العثماني عام 1908 زاد عدد الصحف اللبنانية من بينها " البرق " التي أنشأها بشارة الخوري في بيروت [2] وصدر في سوريا العديد من

---

(1) فيلب دي طرازي : المرجع السابق ، ص 200 ،201

(2) عبد العزيز شرف : الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية ، ط ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، 2004 ص 148 ، 149

الصحف فصدر العدد الأول من جريدة سورية الناطقة باسم الدولة في 19نوفمبر 1865 وكانت تطبع باللغتين العربية والتركية، واستمرت حتى هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، وأصدر عام 1906 مصطفى واصف "الشام " وعام 1908 أصدر ناصيف أبو زيد "العصر الجديد " و محمد خير الدين " تكمل" ومحمد كرد علي "االمقتبس" وخالد قارحلي [1] "روضة الشام"، وفي عام 1909 أصدر سليم هاشم وتوفيق الحلبي ، ومسلم عابدين "دمشق" وجريدة "الاتحاد" عام 1879، وفي طرابلس ظهرت جريدة طرابلس "الشام" وهي صحيفة أسبوعية اعتبارا من سنة 1892 صحيفة "المقتبس" لمحمد كرد علي وقد صدرت "دمشق" عام 1908، و"التقدم" لشكري كنيدر [2] وفي عام1909 صدرت في دمشق صحيفة العصر الجديد، جريدة سياسية كما اصدر محمد كرد علي مجلة "المقتبس" الشهرية عام 1906، حث على التعلم من الأمم الغربية وأعلن أن على الأمة " العربية إذا أرادت النهوض العقلي والعلمي يجب عليها أن تأخذ من كل علم بأسهم الأوفر، ولا يتم ذلك إلا بالنقل عن الأمم الغربية.

المطلب الرابع : حركة الترجمة والتأليف

نتيجة لهذا التوسع الكبير والزخم العلمي الكبير، بدأت أيضا في سوريا حركة علمية نشطة، رافقت المدارس والمطابع، فقد جرت محاولات لترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية، وشارك في عملية الترجمة الشيخ يوسف الأسير (1814- 1989) [3]وناصيف اليازجي *

([1]) عبد الوهاب الكيالي : الموسوعة السياسية ، الجزء الثالث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ص 602 ، 603

([2]) منذر معاليقي : معالم النهضة العربية في الفكر العربي الحديث ، ط1 ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، 2003 ، ص 109

([3]) هشام سوادي هشام : المرجع السابق ، ص 100

* ناصيف اليازجي (1800-1871): من أوائل النهضويين المتنورين في سورية ، وكان متحمسا للغة العربية والأدب العربي ، تعلم العربية وأحبها وقام بتدريسها ، دافع عنها ، وكتب في النحو والبلاغة والعروض وفنون الأدب الأخرى ، وساهم فعلا في بعث اللغة العربية ، وقد اقتصر دوره على هذا الجانب غير السياسي أنظر حسن العودات : العرب والنصارى،ط1، النضالي ،دمشق، سوريا ، ص 200

(1800–1871) وقد حظي التراث العربي بنصيب وافر من هذه النهضة فظهر الاهتمام باللغة والآداب ونشرت دواوين المتنبي وأبي فراس الحمداني وأبي تمام وأبي علاء المعري، كما نشرت حكايات ألف ليلة وليلة، وكتابات فقه اللغة للثعالبي ومقامات الحريري ورسائل أبي العلاء وكان أمرا طبيعيا، أن يهتم الكاتب العربي في هذه المرحلة بالتاريخ، فبرز عدد من المؤرخين الذين نشروا كتبا قيمة لعل من أشهرهم طنوس الشدياق ونوفل عبد الله نوفل وميخائيل مشاقة وجرجي زيدان وسليم شحادة.

وأيضا ساهمت الترجمة كذلك في تنظيم التعليم على مختلف مراحله فظهرت الحاجة ملحة إلى دخول الوطن العربي لعصر الجامعة ، وهكذا بدأت ولادة جيل عربي يمتلك لغة الحوار ووسائلها ويساهم عبر كتاباته وترجماته ومحاضراته وندواته في ولادة رأي عام عربي ، يضغط من أجل التغير الجذري ، وتطوير الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة وإقامة بدائل لهم تقوم على الديمقراطية والعلمانية واحترام كقيمة مطلقة، وزادت الروابط المباشرة بين الشرق والغرب ،وزادت الرغبة في تعلم اللغات الأجنبية وإتقانها، إلى جانب اللغة العربية كحاجة ملحة تمليها متطلبات العصر، ونشطت الترجمة لأغراض علمية بالدرجة الأولى . ونظرا للاتساع الهائل في حركة الطباعة والنشر وزيادة الرغبة لدى الناس في المطالعة وطلب العلم والثقافة. وتجدر الإشارة إلى أن الترجمة لعبت دورا أساسيا في تنشيط اللغة العربية بين سكان جبل لبنان، إذ نشير بعض الدراسات إلى أن اللغة السريانية كانت اللغة الدينية والأدبية لدى الموارنة. [1]

([1]) مسعود ظاهر : المرجع السابق ، ص319، 320

المطلب الخامس : العمران

ومن بعض المنشآت العمرانية التي عرفتها منطقة بلاد الشام في عهده:

1/ إعادة بناء الجامع الأموي (1890 – 1899) :

تعد عملية إعادة اعمار الجامع الأموي، بعد حريقه الأخير من الانجازات الحضارية الرائعة والمجهولة عند أهل دمشق، في مختلف فنون العمران وهي لوحة مشرفة لأهل الشام، في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين تبين مدى التقدم العمراني الذي كانت تتمتع به دمشق في تلك الفترة يوم لم تكن الكهرباء والرافعات وطوابير المهندسين ومكاتب الإنشاءات الهندسية ، معروفة فيها .

2/ السرايا الجديدة: شيدت هذه بجوار مبنى البلدية، من ناحية الغرب وعلى الضفة الجنوبية لنهر ببردى سنة 1900، وذلك على طراز البناء الأوروبي، مع مسحة إغريقية يونانية قديمة، تتميز بالسقف الهرمي (الجملون) والذي يحوي
شعارالحكومةالعربية، وكان من قبل يحوي شعار الدولة العثمانية الهلال والنجمة الذي يعلوها، وقد تعددت تسمياتها، فعرفت بالسرايا الجديدة (بدلا عن سرايا الحكم، التي وجد مكانها مبنى العابد فيما بعد) وسميت سرايا الحكومة، ودار الحكومة والسراي أو السرايا.

جعل الولاة العثمانيون هذه السرايا مقرا لحكمهم ، ثم صارت دارا للحكومة العربية إبان العهد الفيصلي وأيام الانتداب الفرنسي بعده ، كما اتخذت مقرا لرئاسة مجلس الوزراء ، بعد الجلاء سنة 1946 وحاليا مقرا لوزارة الداخلية . [1]

([1]) ماري دكران ساركو : المرجع السابق ، ص 336 ، 356

3/ الثكنة الحميدية : تعرف هذه الثكنة أيضا باسم (القشلة الحميدية)، وذكر المنجد أن الثكنة شيدت أمام الولاية الأولى لحسين ناظم باشا (1895 – 1907) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي أمر ببقائها لتكون جامعة ، إلا أن الظروف حالت دون ذلك فصارت تستعمل ثكنة عسكرية عثمانية، ينام ويطعم فيها أفراد الجيش الخامس العثماني المتمركز في مدينة دمشق .[1]

إضافة إلى العمران فقد جرت السلسلة من الإصلاحات في سوريا منها جلب مياه عين الفيجة إلى دمشق وتزويد المدينة بالكهرباء وبناء الأحياء الحديثة وتبليط الشوارع ويعد السوريون ناظم باشا خير من تولي إدارة ولاية سوريا، فكان بالإضافة إلى عدله وحزمه ونزاهته مثال حي لإنجاح العديد من المشاريع العمرانية . [2]

وأيضا بالنسبة للقدس هي الأخرى شهدت أعمال عمرانية مثل رصف شوارع مدينة القدس وإنشاء مجاري فيها، فتح عيادات طبية مجانية، وتأسيس مستشفى تابع للبلدية وهو (المستشفى البلدي) وإنشاء مستشفى عسكري، افتتاح متحف الآثار، وإصدار قانون يمنع البناء دون ترخيص. [3]

([1])ماري دكران ساركو : المرجع السابق ، ص 336 ، 356

([2]) هشام سوادي هشام : المرجع السابق ، ص99

([3]) رياض حمودة ياسين و أحمد ممدوح الفاعوري : المرجع السابق ، ص 67 ، 68

المبحث الرابع: نتائج إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في بلاد الشام

واهتمت الدولة في إنشاء المدارس العسكرية والفنية والطبية، لتقوية الجيش واستقدام الخبراء الألمان لتدريب الجيش ولكن هذه المدارس كانت نواة لتأسيس خلايا ثورية ، حيث أن الطلاب كانوا يتلقون علومهم على النمط الغربي، ذات المناهج العلمانية لا الدينية. وفي نفس الوقت كانت الدولة تنفتح بالتدريج على العالم الخارجي نتيجة للتوسع في دور البريد وبناء البواخر التجارية وادخال الخطوط التلغرافية التي كان لها اثر مباشر على ربط اتحاد البلاد كلها ومن ناحية وفرت للمعارضين أداة لتهديد الحكومة من ناحية أخرى، وحولت رؤوس الأموال الأجنبية وخطوط الترامواي وأعمال المناجم والمرافق العامة، واستعانت الدولة بالخبرات الأوروبية. وأدى تقدم المواصلات إلى ازدياد حجم التجارة والصناعة وعدد تجار الأجانب ، كما ازدادت الخطوط الحديدية في داخل الدولة العثمانية لهذا تعاقد مع مجموعات ألمانية لبناء سكك حديدية في داخل الأناضول أولا، إلى أنقرة ثم إلى قونيه وكانت هذه المشروعات أداة للتدخل الأجنبي للمساس بسيادة الدولة. ومن خلال مجلس إدارة الدين العام العثماني الذي يمثل الدائنين الأجانب. وهكذا يتضح أن المشروعات الاقتصادية التي تمت في الدولة العثمانية بقروض أجنبية، كان هدفها إيجاد المبررات للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ، بحجة مراقبة الدخل العام، وتحصيل وإنفاق الأموال العامة وفرض الضرائب لسداد ديونها، مما أوجد ارتباكا في ميزانية الدولة وعجزها عن القيام بتسديد ديونها المستحقة وذلك للعمل على انهيار الدولة والإطاحة بها. [1]

بالنسبة للجهود التي بذلها السلطان عبد الحميد الثاني ، إلا أنه لم يكن من السهل تحقيق هدف عبد الحميد في دمج الرعايا العرب في النظام العثماني عن طريق [2]كسب

([1]) إسماعيل احمد ياغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ط2 ،مكتبة العبيكات ، الرياض ،المملكة العربية السعودية 1998، ص 205

([2]) أحمد طربين : تاريخ المشرق العربي ، المرجع السابق ص 290

ولائهم ومساندتهم الفعالة للخلافة والسلطنة، فبرغم اشتراك الغالبية الساحقة من العرب مع العثمانيين في الدين الإسلامي فقد حال دون ذلك اندماجهم، وذلك بسبب الاختلاف اللغوي والسياسي والتباين في التنظيم الاجتماعي والمصلحة الاقتصادية ،ويضاف إلى ذلك التأثيرات الثقافية والسياسية للجماعات المسيحية (وخاصة الموارنة) ذات النفوذ الاقتصادي والتي تتمتع بالحياة الأوروبية. وهذا إلا أن طريقة عبد الحكيم في الحكم الفردي، ومبالغته في التخوف على حياته واصطناعه من وسائل القمع والتجسس، مانفر منه الكثيرين وعلاقته مع الزعماء العرب المحليين التي كانت أقرب إلى علاقات السيد بالتابعين له، كل هذا قد ساهم في إحباط سياسته العربية والإسلامية .

السياسة العثمانية في بلاد الشام في أواخر عهدها أدى بها إلى ظهور، ظاهرة في المجتمع ألا وهي ظاهرة الهجرة، من مناطقهم إلى مناطق أخرى باتجاه مصر والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها فمن أسبابها هو الرغبة في التهرب من الخدمة العسكرية التي أصبحت إلزامية للجميع، بالإضافة إلى تراجع الاقتصاد في أواخر العهد العثماني ، بالإضافة إلى بروز موضوع الهجرة بحيث أدى التطور في التعليم إلى تخريج مئات من المتعلمين لاقوا صعوبة كلية في التكيف مع البنى الاجتماعية والسياسية عام 1915، أي أن العدد قد تضاعف ثلاث مرات تقريبا خلال نصف قرن وبلغ عدد التلاميذ من الجنسين 120 ألف تلميذ وتلميذة عشية الحرب العالمية الأولى ومن المؤكد أن هذا الانفجار المدرسي قد ساهم في تغذية موجات الهجرة. [1]

وأيضا ظهرت العديد من الثورات الشعبية بسبب القوانين الجائرة وسياسة الاستبداد والظالم الذي لحق بالعرب نذكر منها الثورات التالية :

([1]) أحمد طربين : تاريخ المشرق العربي ، المرجع السابق ص 290

1/ ثورة بني حميدة عام 1888(الأردن): كان سببها الرئيسي رفض عشيرة بني حميدة دفع الضرائب المتراكمة عليها والبالغ مقدارها 200.000 قرش بسبب سياسة الدولة العثمانية الظالمة التي أرهقت الناس بالضرائب، فأرسلت حملة عسكرية إليهم لإجبارهم، على دفع الضرائب والدخول في طاعة الدولة، لكن شيوخ بني حميدة رفضوا ذلك وآخذو يستعدون لمعركة وطلبوا من عشيرة المجالي مساعدتهم فأمدوهم بالخيل والسلاح، وبعد تسرب الخبر إلى رئيس الحملة العسكرية العثمانية هاجم في منطقة دبيان، فتراجعوا إلى وادي الموجب ، لكن القوات العثمانية لحقت بهم واستمرت المعركة حتى المساء، تفرق على إثرها الثائرون في الجبال وجرح أكثر من عشرين شخص وقتل ستة بسبب قلة الماء والمواد التموينية عادوا يطالبون العفو من قائد الحملة العسكرية العثمانية.

2/ حركة الشرارات عام 1889(الأردن): بعد خروج عشيرة الشرارات عن طاعة الدولة العثمانية ، توجهت حملة عسكرية بقيادة فوزي باشا لإخضاعهم للدولة ، فجرح على اثر المقاومة العشائرية جنديين عثمانيين، فهاجمتهم القوات العثمانية في السلط وقتل أربعة أشخاص من الثوار وجرح ستة وتمت مصادرة أسلحتهم ومائتي ناقة . [1]

ولكن رغم التقدم المادي والثقافي الذي شهده عبد الحميد فإن المعارضة انطلقت من مصدرين منفصلين هما الأحرار العثمانيون والروح القومية لدى المجموعات غير التركية ، بحيث تساهم هذه المعارضة إلى عزل السلطان عبد الحميد الثاني وقلب نظام الحكم وهذا ماسنراه في الفصل الثاني .

([1]) خالد سيول : المرجع السابق ، ص 56 ، 57

الفصل الثالث

سياسة الإتحاديين في بلاد الشام

- المبحث الأول : دور جمعية الإتحاد والتوقي و الماسونية في عزل السلطان عبد الحميد الثاني .

المطلب الأول: جمعية الإتحاد والترقي

المطلب الثاني: دور اليهود و الماسونية في عزل السلطان عبد الحميد الثاني .

المطلب الثالث: إعادة الدستور 1908 وعزل السلطان عبد الحميد الثاني

- المبحث الثاني: سياسة التتريك في بلاد الشام

المطلب الأول: سياسة التتريك في مجلس المبعوثين " البرلمان"

المطلب الثاني: سياسة التتريك في الوظائف الحكومية

المطلب الثالث: ساسة التتريك في التعليم واللغة

المطلب الرابع: التتريك في الدين ومحاربة الإسلام

- المبحث الثالث: سياسة جمال باشا في بلاد الشام
- المبحث الرابع : نتائج سياسة الإتحاديين في بلاد الشام

المبحث الأول: دور جمعية الاتحاد والترقي والماسونية في عزل السلطان عبد الحميدالثاني:

المطلب الأول: جمعية الاتحاد والترقي

هو أول حزب سياسي في الدولة العثمانية كان ظهوره عام 1890م، بشكل سري مكونا من خلايا طلابية للمدارس الحربية والطبية العسكرية، وكان تأسيسه يهدف إلى معارضة حكم السلطان عبد الحميد والتخلص منه وفي عام 1897م تم اكتشاف هذا الجهاز، مما أدى إلى نفي العديد من أعضائه وفرار البعض إلى باريس، فأرسل السلطان عبد الحميد الثاني مدير الأمن العام الفريق الأول أحمد جلال الدين باشا إلى باريس لاستمالة أعضاء المعارضة من الاتحاديين فنجح في استمالة أكثرهم ومنحهم مناصب كبيرة في الدولة العثمانية إلا أن أشد المعارضين وعلى رأسهم أحمد رضا بك ضلوا على معارضتهم . [1]

وقد تولى أعضاء جمعية الإتحاد والترقي(انظر الملحق 5و6) السلطة في الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور الثاني عام1908م، وتعتبر جمعية الاتحاد والترقي امتداد لجمعية تركيا الفتاة، لذلك فالمؤرخون يطلقون اسم تركيا الفتاة على بدايات الحركة خاصة، حينما كان معظم نشاطها في أوروبا ولما انتقل نشاطها إلى الداخل البلاد وانظم إليها العسكريون خاصة، صار يطلق عليها اسم (الاتحاد والترقي) ويرجع بعض الباحثين بداية ظهور تلك الجمعيات إلى عهد السلطان عبد العزيز. [2]

وفي عام 1889م شكل جماعة من طلاب الكلية الطبية العسكرية في اسطنبول جمعية وطنية سرية عرفت باسم (جمعية الاتحاد والترقي) وكان يتزعمها . [3]

---

(1) محمد حرب : العثمانيون في تاريخ والحضارة ، ط ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1989 ، ص 31

(2) سليمان بن صالح الخراشي : كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط ، دار القاسم ، الرياض ، المملكة العربية السعودية، 1420 هـ، ص 31

(3) كريم طلال منير الركابي : ثورة الاتحاديين في تركيا عام 1908 ، مجلة9 ، كلية التربية السياسية ، العدد 49 ، 2006 ص2

شاب ألباني إبراهيم تيمور * وانضم إلى تلك الجمعية أعضاء من الأكاديمية البحرية والأكاديمية العسكرية، ومدارس المدفعية والمهندسين ومدرسة الطب البيطري، وكان تنظيم الجمعية على طراز الكاربوناري في التاريخ الايطالي خلال إقامته في (برنديزي ونابولي) حيث كان أثرها واضحا على الجمعية، فكانت أعضائها يعرفون بعضهم البعض بأرقام كسرية وقد احتفظ تيمور برقمه في الجمعية بــ(1/1)، كما تأثرت هذه الجمعية بآراء بعض المفكرين التقدميين من الأتراك وفي مقدمتهم نامق كمال وقد وجدت ترحيبا من الناس ووسعت قواعدها بحيث انضم لها الكثير من العرب من الأقطار العربية الخاضعة للدولة العثمانية . [1]

وقد ضمت أيضا جمعية الاتحاد والترقي عددا من الأعضاء العرب البارزين اللذين لعبوا دورا هاما في هذه الجمعية و من العرب اللذين لعبوا دورا بارزا في مقاومة السلطان عبد الحميد نذكر على سبيل المثال لا الحصر خليل غانم ** كان خليل عضوا عن بيروت في مجلس المبعوثان الأول (1876) فلما عطل الدستور عمل الأتراك الأحرار على مقاومة استبداد السلطان عبد الحميد الثاني، فبعد إصداره في جنيف الجريدة اسمها الهلال أصدر في باريس جريدة بالفرنسية إسمها Laleume Turgué ولم يكتف خليل غانم بذلك، بل أخذ يكتب في مختلف الصحف الفرنسية مهاجما السلطان . [2] بالإضافة إلى خليل غانم لدينا أحمد رضا بحيث لعب دورا هاما، ضمن جماعة الاتحاد والترقي حيث أصبح مديرا

([1]) كريم طلال ، المرجع السابق ، ص 3

* إبراهيم تيمور : هو إبراهيم بن مراد تيمور ولد في مارس 1865 في بلدة " ستروغا " قرب حدود يوغسلافيا سابقا مع ألبانيا من أب ألباني الأصل تلقى تعلي مه الأول في بلدته ، ثم انتقل إلى اسطنبول والتحق بالمدرسة الطبية العسكرية عام 1886 ولما تخرج منها بعد سنتين التحق بالكلية الطبية العسكرية وتخرج منها طبيبا للعيون عام 1893 ، هرب إلى رومانيا عام 1895 وأصدر فيها مجلة " صدى الملة " ولما أعلن الدستور العثماني عام 1908 عاد إلى إسطنبول وأسس فيها الحزب العثماني الديمقراطي مات في "المجيدية " برومانيا في أوت عام 1945. أنظر إلى سليمان بن صالح الخراشي : المرجع السابق ، ص 43

([2]) محمد عبد الرحمان بوج المرجع السابق، ص 125

** خليل غانم : ولد عام 1836 في بيروت ،ولما بلغ الحادية عشر من عمره دخل مدرسة عين‌طور ،فجلى في مضمار اللغة الفرنسية وكان فيها شاعرا مطبوعا وكاتبا ضليعا وخطيبا بليغا ورياضيا بارعا ، ثم أخذ اللغة العربية عن الشيخ ناصيف اليازجي واللغة التركية عن المعلم إبراهيم الباحوط ، وأحكم أصول اللغة الانجليزية ،وقد بدأت حياته السياسية عام 1872 ، بتبعية عضو في محكمة التجارة وفي السنة ال موالية عينه إبراهيم باشا متصرف بيروت ترجمان للمتصرفية ، و في سنة 1875 عينه راشد باشا وإلى ولاية سوريا ترجمان للولاية وفي سنة 1877 انتخبه سكان سوريا نائبا ثانيا عنهم في مجلس المبعوثان . انظر فيليب دي طرازي ،المرجع السابق ص269

لصحيفة يصدرها الأحرار العرب الأتراك في باريس باسم (مشورت) كان شريكه الرئيسي في إصدارها خليل غانم وكانت تصدر مرتين كل شهر وتهرب سرا إلى داخل الدولة العثمانية وإزاء ما كانت تكتبه صحيفة (مشورت) رفع السلطان عبد الحميد دعوى باسمه لدى محكمة السين عن طريق سفارة في باريس عام 1897م، واتهم في دعواه أحمد رضا وخليل غانم، أنهما يضمنان صحيفتهما مساسا به، وصدر حكم المحكمة بتغريمها ستة عشر فرنكا فرنسيا حكما مؤجل التنفيذ، وجاء في صيغة الحكم أن مجازر عبد الحميد في أرمينيا وحملات الصحف الأوروبية عليه تعتبر مبررا لها وصفه به محررو جريدة (مشورت) من أنه مخادع، جلاد، السلطان الطاغية ... إلى آخره.

ومن الشخصيات العربية التي كان لها دورا مرموقا في مناهضة السلطان عبد الحميد، رفيق بك العظم * الذي أسس في القاهرة هو والشيخ رشيد رضا جمعية الشورى العثمانية، وقد أفزع وجود هذه الجمعية السلطان عبد الحميد حتى أنه إذ اعترف لحاشيته أنه لم ينم ثلاث ليال حتى عرف من هم الذين أسسوها، وأطلق عليها اسم (الجمعية الفاسدة) وكان للجمعية فروع خارج الدولة العثمانية وكانت تصدر منشوراتها باللغتين العربية والتركية، التي استطاعت أن تهربها إلى داخل الدولة عن طريق مكاتب البريد الأجنبية، كما نجد رفيق العظم كان دوره بارزا مع البرنس صباح الدين (بن الرمار محمود صهر السلطان عبد الحميد الثاني) الذي فر مع والده إلى باريس وتولى قيادة حركة المعارضة بعد وفاة أبيه عام(1902م). [1]

([1]) محمد عبد الرحمان برج، المرجع السابق ، ص 125

* رفيق العظم : (1925/1867م) سياسي وكاتب سوري مؤسس حزب اللامركزية الإدارية العثمانية ، ولد بدمشق والده الأديب الشاعر والكاتب محمد العظم ، صحبه نسيبه شريف باشا والي سوريا معه إلى مصر ، عندما أحيل إلى المعاش 1893 م شغوف بالمطالعة إلا أن مرضه في مصر اضطره إلى الإقلاع عنها فسافر إلى الأستانة ودمشق طلبا للراحة والاستجمام عاد إلى مصر وأخذ يكتب في الصحف ويعنى بالتأليف ومن أهم مؤلفاته الدروس الحكيمة الناشئة الإسلامية ، كيفية انتشار الأديان والجامعة الإسلامية وأوروبا وغيرهم جمع شقيقه عثمان العظم بعد وفاته طائفة من مقالاته في كتاب أسماه مجموعة آثار رفيق العظم ، أنظر عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ،ص 826 ، 827 .

وفي المؤتمر الذي عقد في دار الصباح الدين بباريس حضره رفيق العظم وانضم إليه في وجوب حكم الدولة العثمانية حكما لا مركزيا وكانت وجهة النظر الأخرى المعارضة للأمير صباح الدين ورفيق العظم هي وجهة نظر أحمد رضا الداعية إلى مركزية الحكم وهي التي أصبحت أسلوب الاتحاديين في الحكم فيما بعد ، فلما تمسك صباح الدين برأيه وألف جمعية باسم (جمعية التشبث الشخصي و اللامركزية الإدارية) وكان اسمها بالتركية (تشبت شخصي وعدم مركزيت) كان رفيق العظم من الأسماء اللامعة التي وضعت خطة هذه الجمعية وساهمت في تأسيس شعبيتها في دمشق ومعه حقي العظم و محمود بك العلايلي (1)

المطلب الثاني : دور اليهود و الماسونية في الانقلاب على عبد الحميد الثاني

هناك صلة قوية بين يهود الدونمة*والمحافل الماسونية ** في الانقلاب الذي قامت به جمعية الاتحاد والترقي ، في تنحية السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش وكان ذلك بسبب رفض السلطان عبد الحميد الثاني بيعهم أرض فلسطين لذلك نجدهم أنهم حملوا لواء المؤامرة ضد السلطان عبد الحميد الثاني ، وهذا ماذكر في مقال محرم فوزي طوغاي في (2 ماي 1947) في مجلة " بيوك طوغو" التركية بعنوان "فلسطين والمسألة اليهودية : " أن تصرف عبد الحميد الثاني تجاه الحركة اليهودية كان معناه أن يتسبب في هدم تاجه وهدم عرشه بل وهدم الدولة العثمانية كلها" . (2)

---

(1) محمد عبد الرحمان برج : المرجع السابق ، ص 126

(2) جمال عبد الهادي محمد سعود : المجتمع الإسلامي المعاصر ، (المدخل) ، ط1 ، دار الوفاء ، 1995 ، ص 55

* يهود الدونمة : كلمة تركية تعني العودة أو الرجوع ، وقد أطلقت هذه الكلمة على فئة من الناس سكنوا في المناطق القريبة من عاصمة الدولة العثمانية ، ولعبوا دورا هاما ورئيسيا في القضاء على هذه الدولة ، وزاد نشاطهم بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909 ، واشتركوا في تأسيس الدولة العلمانية التركية الحديثة ، وبرعوا في المجال الاقتصادي والثقافي والصحفي ، ولا يزالون يتحكمون في صحافة تركيا حتى الآن ، وللدونمة اسمان آخران هما : الرجعيون أو السباتائيون ، نسبة إلى سباتاي سيفي الذي أنشا هذا المذهب . ينظر محمد علي الأحمد ، المرجع السابق ، ص330

** الماسونية : (البناء الحر) : هي من أعظم وأقدم الجمعيات السرية ذات المنشأ الغامض وهي حركة تنظيمية ، خفية قام بها حاخامات اليهود ، وخاصة في مرحلة الضياع السياسي ، الذي تعرض له يهود التوراة ، فأخذ الحاخامات على عاتقهم أقامة تنظيم يهودي يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية ،فهي حركة ذات هدف يهودي بحت وذات طابع عالمي ، أما لفظ ماسون فإنه اشتق من لفظة فرماسون المركبة من لفظتين فرنسيتين،من فرانك والتي تعني في اللغة الفرنسية الصادق وماسون :التي تعني الباني،وتصبح الدلالة للفظ الماسون: الباني الصادق أوالجماعة الماسونية أي البناة الصادقون ، أو البناءون الأحرار . أنظر محمد علي الأحمد : المرجع نفسه ، ص 328

أما الماسونية فهي أيضا تعتبر من أبرز العوامل التي ساهمت في الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وخلعه من سده الحكم، فقد قام هؤلاء الذين هم من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بتأسيس شرق ماسوني علماني في تركيا على غرار الشرق الأكبر الفرنسي، من أبرز أعضائه أنور باشا * وطلعت باشا ** وجمال السفاح *** وجاويد باشا، وقراصوا **** وخالدة أديب، ومصطفى كمال، وعن صلة الماسونية بجمعية الإتحاد والترقي تحدث الكاتب الألماني الكبير داجوبرت فون مبكوش في كتابة فيقول : "كانت المحافل الماسونية وعلى الأخص المحفل الإيطالي الأكبر في سالونيك ترحب بأعمال هذه الجمعية وكانت الجلسات تعقد في غرف المحافل الماسونية التي يستحيل على الجواسيس (أي جواسيس السلطان) أن يصلوا إليها مهما بذلوا من جهد ، وكان كثير من أعضاء هذه المحافل مندمجين في جمعية الاتحاد والترقي، وبهذه الوسيلة استطاعت الجمعية أن تضاعف عددها وتقوى نفوذها ، بفضل المعونة التي تتلقاها من الأحرار، كما أن أعضاء الاتحاد والترقي انتفعوا بالأساليب الماسونية في الاتصال باسطنبول بل في التقرب من القصر ذاته، كان [1] عدد الماسونيين في تركيا عام 1882 نحو عشرة آلاف ماسوني من بينهم عدد من الوزراء

([1]) محمد صفوت السقا أمين وسعدي أوجيب : الماسونية ، ط2 ، منشورات رابطة العالم الإسلامي ، (دم) 1982 ، ص 160

* أنور باشا : ولد عام 1299/1877في اسطنبول وهو أحد الثلاثة الذين قادوا تركيا بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد إضافة إلى طلعت وجمال باشا لعب دورا أساسيا في دخول الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ، عين رئيسا في الجيش الثالث بسلانيك ، بعد تخرجه من المدرسة الحربية ثم عين عام 1905 في أركان الجيش الثالث في مناستير وانضم هناك إلى جمعية الاتحاد و الترقي ، وأقنع الفريق محمد شوكت،للاشتراك في جمعية الاتحاد والترقي وقيادة جيش الاتحاديين في الهجوم على اسطنبول واقتحامها في خلع السلطان عبد الحميد وعين سنة 1909 ملحقا عسكريا في برلين ،ثم التحق عام 1911بقيادة الجيش العثماني الرابط في ليبيا لمواجهة الغزو الايطالي لها ،وشارك مع قادة الاتحاد والترقي في قيادة البلاد حتى عام 1918 ،توفي عام1922 ينظر:محمد علي الأحمد،المرجع نفسه ص338

** طلعت باشا هو محمد طلعت باشا ولد عام 1874 في أدرنة بتركيا ، وهو من أصل بلغاري ، من غجر بلغاريا وهو من زعماء تركيا الفتاة ، وكانت درجته في الماسونية رقم 33 ، أحد الثلاثة قادة جمعية الاتحاد والترقي بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد ،تولى الصدارة العظمى في الفترة 1918/1917 ، اعتقل مع قراصو اليهودي " لنشاطهما السياسي التخريبي ، ثم أطلق سراحه بعد سنتين ، وعين رئيسا لأمناء البريد في سالونيك ، فكان لسان حال تركيا الفتاة هناك ، وعين في الحكومة الانقلابية للإتحاد والترقي بعد عام 1909 وزيرا للداخلية ، ثم وزيرا للبريد ، ثم عين أمينا عاما لجمعية الاتحاد والترقي عام 1911 ، استقال قبل توقيع المعاهدة الصلح عام 1917 ، وهرب إلى أوروبا ، بعد ، بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، اغتاله الأرمن في برلين في 16 مارس 1921 ، أنظر محمد علي الأحمد ، المرجع نفسه ، ص 336 .

*** جمال السفاح : واسمه أحمد جمال : أشتهر بجمال باشا ولد سنة 1872 في ميتيلينا باليونان في فترة حكم السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني ، شارك في الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909 ، وكان عضوا بارزا في جمعية الاتحاد والترقي ، تقلد مناصب هامة كمنصب وزير البحرية ، ثم قائدا عاما للفيلق الرابع المرابط في بلاد الشام ، ثم حاكما عسكريا على اسطنبول ، توفي عام 1922 اغتيالا على يدي شابين أرمينيين، أنظر محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 338

*4 امانويل قراصوا : هو يهودي اسباني الأصل ، كان من أوائل المشاركين في حركة تركيا الفتاة ، وكان مسؤولا أمام جمعية الاتحاد والترقي عن إثارة الشعب وتحريضه ضد السلطان عبد الحميد وتأمين التخابر من سلانيك واسطنبول فيما يتعلق بالاتصالات الحركة ، ولعبا دورا هاما في احتلال إيطاليا لليبيا نظيرا مبلغ من المال ، دفعته إليه إيطاليا ، واضطر نتيجة لخيانة الدولة العثمانية أن يهرب إلى إيطاليا ويحصل على حق المواطنة الإيطالية ، واستقر في تريستا حيث مات عام 1939م ، أنظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ، المصدر السابق ، ص 21،22

والنواب وقادة الجيش وكبار المسؤولين، أما بالنسبة لعبد الحميد الثاني فكان يعلم فعلا ماتدبره الماسونية ومن ورائها من كيد الخلافة، لذلك رأيناه يتجه إلى دعوة الأمة إلى الجامعة الإسلامية يرد بها القومية الطورانية، كان عبد الحميد في صراع مع أعدائه في الداخل مع الأطماع الاستعمارية في الخارج بالإضافة إلى الضعف العام، الذي تشكو منه جميع أوصال الخلافة أنشا الخط الحديدي الحجازي بين دمشق والمدينة المنورة، فكان في ذلك نجاح سياسته الإسلامية،كم قام بإعلان الدستور العثماني عام 1980م فكان في ذلك نجاح خصومه، لأن هذا الدستور من وضع الماسون، أنه طعام مطبوخ في محفل كان أول من تجرع سمه السلطان." [1]

وبالتالي مايسعنا القول إلا أنه قد نجح أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بالاشتراك مع يهود الدونمة وبالتخطيط مع الحركة الماسونية والتنسيق مع بريطانيا وفرنسا في بث الدعايات والإشاعات الكاذبة المغرضة، حول السلطان عبد الحميد وحول أسلوبه في إدارة مؤسسة الخلافة وفي حكم الدولة واصفين إياه بالمستبد والطاغية مقدمين كل ما من شأنه أن يعطي انطباعا عنه لدى الناس بفساد نظام حكمه، وأنه يفتك بالعناصر المثقفة والواعية ويرميها من نوافذ القصر في البحر وغير ذلك من الأقاويل التي نسجتها الماسونية حوله، من أجل تهيئة الرأي العام في عاصمة الخلافة وفي أرجاء البلاد الإسلامية التابعة له لتقبل الانقلاب عليه.

المطلب الثالث:إعادة الدستور1908 وعزل السلطان عبد الحميد الثاني:

تمكن أفراد الاستخبارات العثمانية الموالين للسلطان عبد الحميد الثاني من الاطلاع على حقيقة مايجري في سلانيك ومناستير في أوساط الجيش الثالث العثماني، وان جماعة الاتحاد والترقي على وشك القيام بنشاط عسكري ضد عاصمة الخلافة،وقوي هذا الاتجاه بعد اعتقال[2]

([1]) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 331 ، 332
([2]) محمد علي الأحمد ، المرجع نفسه ، ص 332

طلعت باشا وقراصو اليهودي عندما جاء من سلانيك إلى اسطنبول لتنسيق خطوات العمل المقبلة مع خلاياهم السرية فيها ،تم الإفراج عنهم بعد الاستجواب أمام لجنة خاصة وإطلاق سراحهما دون إدانتهما، بفضل دهاء قراصو حين أجاب لجنة التحقيق: نحن ماسونيون لاننكر ذلك لكننا لسنا أعضاء في جمعية سرية فاقتنعت اللجنة بكلامهما وأفرجت عنهما وكان ذلك بمثابة الإنذار الخطير الذي نبه كلا الفريقين، فريق عاصمة الخلافة بقيادة السلطان عبد الحميد الثاني، وفريق الانقلابيين الذين خافوا تحرك عبد الحميد ضدهم قبل تنفيذ الانقلاب.
وفي هذه الفترة، في 10 جويلية 1908 اجتمع قيصر روسيا نيقولا الثاني وملك انجلترا "ادوارد السابع في ريفال واتفقوا على التدخل في شؤون الدولة العثمانية، خاصة في الولايات الثلاث مناستير، قوصوه، سلانيك، وهي تابعة لمقاطعة مقدونيا وأشار الحصري إلى سبب لقاء ريفال بأنه جاء لوضع الخطط الجديدة من أجل تصفية المسألة الشرقية، فكان هذا السبب المباشر الذي اتخذه الضباط المتمردون في الجيش الثالث في سلانيك ذريعة لبداية التحرك ضد الدولة وإعلان التمرد من قبل جماعة الاتحاد والترقي للانقلاب، وكان في مقدمة هؤلاء الظباط القول آغاسي(الرئيس الأول،أو الرائد)أحمد نيازي قائد حصن رسنة، المعروف بنيازي الرسنة لي، والضابط الرئيس(النقيب) أنوربك، وتحرك هؤلاء الى الجبال مع وحداتهم العسكرية، وانضم إليهم كل من أنور ومصطفى كمال وجمال باشا وآخرون مع وحداتهم واحتلوا مناستير(بيتولج) وفيها مقر قيادة الجيش الأول، وهددوا بالهجوم على استطنبول من هناك،وأرسلوا برقيات إلى السلطان عبد الحميد مطالبين بإعادة الدستور وانتخاب المجلس النيابي ،وتوالت برقيات العسكريين من كافة القطعات العسكرية التي يرأسها قادة منضمين لجماعة الاتحاد والترقي،إلى السلطان عبد الحميد تؤيد حركة التمرد وتطالب بإعادة العمل بالدستور الذي وضعه مدحت باشا وتركيا الفتاة عام 1876م، وكان ذلك في جوان 1908وكانت إحدى البرقيات المطالبة بإعادة الدستور والمؤيدة لحركة الاتحاديين مرسلة من حلمي باشا مفتش الولايات الثلاث التي كانت فيها حركة التمرد، وكانت ردة فعل الخليفة [1]

([1]) محمد علي الأحمد ، المرجع السابق ، ص 415

عبد الحميد عملا بسياسته القاضية باستيعاب الموقف،ثم التحرك الذي يراه مناسبا حسب المعطيات المتوفرة بين يديه فوافق على مطلبه الاتحاديون، وأعلن البدء العمل بالدستور في25جمادى الثانية1326ه/24 جويلية 1908 . [1]

ولما جرى إخماد الثورة في اسطنبول، وسيطر جيش الحركة على المواقف، أعلن الأحكام العرفية وانشأ محاكم استثنائية لمحاكمة الثائرين. قام نواب والأعيان بعقد اجتماع، وأطلقوا عليه اسم مجلس العموم الوطني، وذلك في(6جمادى الثانية/27مارس) وقرر ذلك المجلس برئاسة سعيد باشا خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش(أنظر ملحق 7و8)، بعد أن حمله مسؤولية تفجير الحركة المضادة، ومارسوا الضغوط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين لإصدار فتوى بخلعه، وجرى تبليغه من خلال هيئة مكونة من خمسة أشخاص هم حكمت باشا رئيسا وأسعد طوبتاني باشا وغالب باشا وآرام أفندي الأرميني وقرصوا اليهودي ثارت ثائرة السلطان عندما رأى قراصو بين أعضاء الوفد، وعدَ حضوره إهانة لمقام الخلافة، فحدق به وقال:"ماهو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة، وبأي قصد جئتم بهذا الرجل أمامي؟" ومهما يكن من أمر فقد اسقط الاتحاديون السلطان عبد الحميد الثاني، ورفعوا محمد رشاد الخامس مكانه، ثم نفوه إلى سالونيك في(3ربيع الثاني/24 مارس) وبتنفيذ هذا القرار طوي عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وخلا الجو لرجال الاتحاد والترقي الذين حولوا جمعيتهم من منظمة سرية إلى حزب سياسي علني وانفردوا بالحكم وسمح لهم السلطان محمد رشاد الخامس أن يحكموا باسمه . [2]

---

(1) محمد علي الأحمد المرجع السابق ، ص 415
(2) محمد سهيل طقوش: المرجع السابق ، ص516، 517

المبحث الثاني : سياسة التتريك في بلاد الشام

أما كيف كانت سياسة أولئك الأحرار من رجالات جمعية الاتحاد والترقي بعد أن انفتح المجال أمامهم لتحقيق مبادئهم، والعمل على إصلاح الفاسد ومعالجته المعتل في جسم الإمبراطورية، فتلك قضية تستدعي وقفة طويلة لأنها كانت نقطة التحول الأساسية في سياسة العرب اتجاه الدولة العثمانية . [1]

لقد كان أعضاء ذلك الحزب السياسي الحاكم يرغبون في بناء دولة حديثة وكانت النزعة القومية آنذاك، قد بلغت الأوج في أوروبا فأقاموا دعائمها على ذلك الأساس، لكن ليس على قاعدة تآخي القوميات مما يتنافى كل التنافي وطبيعة تركيب الدولة العثمانية التي تضم عناصر شتى وأعراقا متباينة والكثافة كبيرة جدا، بالنسبة للعنصر التركي الحاكم وأكثرها ولاسيما العنصر العربي فيها، ذات أمجاد تاريخية، أين منها التاريخ التركي ؟

وبعد أن كانت الرابطة العثمانية تساوي الناس جميعا بعصا الطغيان الفردي، لا فرق في ذلك بين تركي وعربي أو غيرهما، إلا من حيث الصبغة الدينية فحسب، فقد أخذ الغرور العربي ينفخ أوداج أولى الأمر، وشرعت الشرائح تنضج بالآراء التي تدعوا إلى العرقية الطورانية* وتمجيد العنصر التركي وحده ونقرأ لأحمد شريف في جريدة طنين يقول :

"لا يزال العرب يجهلون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما، كأنهم ليسوا تحت الحكم التركي فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال أن ينسيهم لغتهم، ويجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم، لأنه العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فإنهم سيعملون عاجلا على استرجاع مجدهم الضائع وتشيد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الترك ".[2]

---

(1) قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى 1916 /1925 ،ط2، شركة المطبوعات بيروت لبنان 1994 ، ص 67 ، 68

(2) قدري قلعجي : المرجع نفسه ، ص 69 ، ص 70

* الطورانية : هي حركة تركية تهدف إلى تتريك الدولة العثمانية ، بما في ذلك العناصر غير التركية واشتق اسم (طوران) وهو المواطن الذي انتشرت منه القبائل التركية ، بما في ذلك العثمانيون فالانساب إلى عثمان ، انساب إلى الفرع لا إلى الأصل الجيني.أنظر زهير عبد الجبار الدوري: المرجع السابق،ص35

لقد اتخذت الحركة الطورانية ثلاث خطوط: أولا: تخليص التراث التركي الفكري من المؤثرات الفارسية والعربية، ثانيا: خلق صلة قوية دائمة بين أتراك الإمبراطورية العثمانية،والأتراك خارج الإمبراطورية ثالثا: تفوق العنصر التركي وسيادته في الدولة العثمانية، وقد كان لهذا الخط الثالث أثره البعيد في اتجاهات الحركة العربية ومواقفها من الدولة العثمانية. [1]

ويذكر أيضا أنه بعد أن وصل الاتحاديون إلى الحكم عام 1909م اندفعوا في اتجاهاتهم القومية العنصرية إلى أقصى مداها، وبدأت معالم النفور بين العرب والأتراك تتضح، وأدت إلى تكوين نمط تصوري لدى كل طرف عن الطرف الآخر، وقد ارتفعت حدة هذا النمط سلبا وتوترا تحت تأثير السياسة العنصرية الاستبدادية، التي اتبعتها حكومة الاتحاد والترقي ضد القوميات غير التركية، وخاصة العرب. [2]

المطلب الأول : سياسة التتريك في مجلس المبعوثين " البرلمان "

لم يختر رجال الاتحاد والترقي من الأنظمة إلا أسوأها وأشدها جورا، وهو نظام المركزية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما عمدوا إلى جلب المغانم لأفراد حزبهم، وحرصوا على ألا يضم مجلس المبعوثان من الأعضاء إلا من عرف بالولاء لهم، وشرعوا يرشحون الترك للنيابة عن الولايات غير التركية، واستهدفوا الديار العربية في الدرجة الأولى، مما فسح مجال التنافس مابين الشعبين التركي والعربي، وشعر أبناء العرب بأن التركي ينظر إليهم نظرة استعلاء مما أدخل المرارة في نفسه.

وقد قاموا بإقصاء عدد كبير منهم عن الوظائف التي كانوا يشغلونها في الآستانة ولاسيما في وزارتي الخارجية والداخلية بحكم قانون التنسيق، بحيث تناول هذا التنسيق جميع الموظفين [3]

---

(1) قدري قلعجي : المرجع السابق ، ص 74 ، 75

(2) زهير عبد الجبار الدوري : الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمنتديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط ، دار الأوائل ، دمشق ، سوريا ، 2005 ، 33 ، 34

(3) قدري قلعجي ، المرجع السابق، ص 76

من أبناء العرب عمدا فكان الاتحاديون يكتبون في جدول التنسيق حرف (ع) أمام اسم كل موظف من أبناء العرب ليعرف المنسقون جنسيتهم .

-عدم دعوة أبناء العرب إلى أي اجتماع غايته التأليف بين العناصر العثمانية.

-عدم إدخال أي عربي من أعضاء الجمعية الاتحادية في اللجنة المركزية في سلانيك، حتى الضباط العرب الذين كانوا أول من أعلن الدستور

-عدم قبول أي عربي في اللجان المركزية الاتحادية، وتحويل جمعية الاتحاد والترقي من جمعية عثمانية إلى جمعية تركية بحتة.

-انتزاع وزارة الأوقاف من وزير عربي وإسنادها إلى وزير تركي بحيث لم يبق أحد من أبناء العرب في الوزارة.

-استبدال الولاة والمتصرفين والقضاة من أبناء العرب بولاة ومتصرفين وقضاة من الترك وعدم تعيين أي موظف عربي أو عارف باللغة العربية في سوريا والعراق. [1]

المطلب الثاني : التتريك في الوظائف الحكومية

ويلفت دروزة النظر إلى التحول الذي طرأ على الأوضاع الإدارية بعد استلام الاتحاديين السلطة مشيرا إلى تأثير ذلك على العلاقات العربية العثمانية، ومؤكدا على طيب المعاملة من مؤسسة الخلافة للعرب في بلاد الشام، دون ظهور أية إشارات أو تصرفات فيها تميز للأتراك على العرب، وحدوث عكس ذلك تماما بعد تولي الاتحاديين السلطة جاعلا من مدينة نابلس مثالا لبروز الفارق في المعاملة قبل الانقلاب الطوراني وبعده، يقول: " وأنا أعرف أن متصرفية نابلس كان تعاقب عليها قبل الدستور متصرفون من العرب، فلم يعد يأتيها إلا متصرفون أتراك". [2]

---

(1) قدر قلعجي : المرجع السابق ، ص 74 ، 75

(2) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 396

وفي الوزارات العثمانية بدا الشيء ذاته من حيث التميز في الوظائف للأتراك على العرب بعد الانقلاب عام 1909م، يقول دروزة: " كان في وزارة الخارجية (12) موظفا عربيا من أصل (200)، فأخرجوا جميعا بحجة التنسيق، ولم يعين إلا عربي واحد، ولقد أصبح موظفو وزارة المالية بعد التنسيق (111) تركيا و(13) يهوديا و(10) من الأرمن و(4) من الروم و(1) من العرب ومثل هذه التصفية جرت بدون ريب عن قصد وتصميم في الوزارات الأخرى وفي المراكز المهمة في الولايات والألوية العربية، وظلت الأكثرية الكبرى من وظائف الدوائر الحكومية والألوية والأقضية على اختلاف أنواعها بما في ذلك الجيش والشرطة والدرك باستثناء – أنفار الشرطة والدرك – تشعل من الأتراك، ونحن نعرف ذلك في نابلس وإذا ذهب واحد جاء بدلا منه تركي، ولقد أرسل سنة 1909 إلى أوروبا بعثات لإتمام الدراسات العليا بلغ عددها (400)، لم يكن بينهم إلا عربيان." [1]

المطلب الثالث : التتريك في التعليم واللغة

لما كانت اللغة هي الوعاء الذي يحفظ حضارة الأمة، سعى الاتحاديون ومنذ بدايات تسلمهم السلطة عام 1909م إلى محاربة اللغة العربية على كل وفي مجالات الحياة المختلفة، ففي مجال التشريعات والقوانين أصدرت الحكومة الاتحادية قانونا حظرت فيه تسمية المنظمات الاجتماعية والأندية بأسماء قومية، وأخذت تتشدد في هذا الحظر في البلاد العربية، بينما غضت الطرف عن المنظمات القومية التركية، وزيادة على ذلك أخذت تشجع الجمعيات والمنظمات والتكتلات ذات الطابع العنصري التركي، مثل جمعية (ترك يوردي) أي البلاد التركية، وجمعية (ترك أوجاغي) أي الكيان التركي وجمعية (ترك درنكي) أي الثبات التركي، وكان تركيز هذه الجمعية بالدرجة الأولى على بث فكرة القومية التركية، والتخلي عن عثمانية الدولة وجمعية (ترك بيلكيشي) أي العلم التركي، وقد اضطلعت هذه الجمعية بمهمة نشر الثقافة التركية وجمعية (ترك كوجي) أي القوة التركية، وهي جمعية رياضية [2]

([1]) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 391 ، 392

([2]) محمد علي الأحمد : المرجع نفسه ، ص395

تعنى بتقوية البنية الجسدية للشباب التركي، وتنحصر العضوية فيها على أبناء الأتراك فقط ويشترط في طالبي الانتساب إليها من الأتراك أن يستبدلوا أسماءهم العربية بأسماء تركية محضة، سواء كان هؤلاء ذكورا أو إناثا مثل أغوز عوضا عن محمد، كذلك تأسستجمعيات كشفية كان الأولاد فيها يتسمون بأسماء طورانية، كانوا في هتافاتهم يستعملون هتافا طورانيا، ليعيش خاقان الأتراك عوض عن لفظه باد يشاه وكانوا يحملون أعلاما عليها صورة الذئب التركي، وكان أنور باشا يرعى هذه الجمعيات وقد وصلت صورة بعض الأوامر الصادرة إلى الجنود الأتراك وصلت إلى وزارة الحرب البريطانية تحمل هذه الأوامر تعليمات للجنود أن يذكروا (الذئب الرمادي) في صلواتهم، ويبدوا أن الطورانية المستطرفة، كان لها مكانة في نفوس قادة الطورانيين والمتأثرين بالثقافة الغربية .

كما هدفت الجمعيات التي أسسها الطورانيون إلى تطهير اللغة التركية والأدب التركي من الكلمات والمصطلحات العربية لأن اللغة العثمانية تكتب بحروف عربية، وتحتوي أكثر من نصف ألفاظها ومفرداتها كلمات عربية، ولاسيما أن استعمال الأتراك اللغة العربية ضروري لهم ومهم في الحياة اليومية، ولكونها لغة القرآن الكريم يتم أداء الفرائض والعبادات وتلاوة القرآن بها كما يتخاطب الأتراك بها كمسلمين ويستخدمونها في الدعاء والتسبيح وقراءة الأوراد، وعلاوة عما سبق عمل الاتحاديون على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية من أجل إبعاد اللغة العربية عن ميادين الحياة اليومية للشعب التركي المسلم، ولا يتم لهم ذلك إلا بإقصائها عن ممارسة الشعائر الإسلامية لأحكام تطويقها وإحلال اللغة التركية محلها .

وتم أيضا تهميش اللغة العربية واحتقارها واعتبار اللغة التركية لغة إجبارية وإلزامية في الإدارة وفي المدارس الحكومية، أثار هذا المسلك من جانب الاتحاديين ردود فعل قوية من العرب وخاصة من الطبقة المثقفة فاندلعت حرب على صفحات الجرائد منددة ومستنكرة بسياسة التتريك وطالب البعض من المثقفين من الاتحاديين، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في البرلمان على غرار ماهو جاري تطبيقه في النمسا، التي تقر بوجود ست لغات رسمية [1]

([1]) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 396

تفاقمت الأوضاع بتمسك الاتحاديين بتطبيق المادة 68 من الدستور العثماني التي تجبر المترشح لهيئة المبعوثان الإلمام باللغة التركية، وانتقلت سياسة فرض الأمر الواقع إلى ميدان القضاء بصدور الأوامر إلى رؤساء المحاكم، بإجبارية أن تكون المرافعات باللغة التركية وقد سبقت هذه الأوامر حملة صحفية من جانب الاتحاديين على مهاجمة الوزير العربي للأوقاف خليل حمادة باشا لأنه ختم تدخله في مجلس المبعوثان، بقراءة الدعاء باللغة العربية ولم تتوقف هذه الهجمة إلا بعد أن أبعد هذا الوزير عن الوزارة . [1]

بالإضافة إلى سياسة الاتحاديين حيث نجد أنهم أجبروا الطلاب العرب أن يتعلموا [2] اللغة التركية وآدابها ومع أن مدارس الجبل كانت تعلم اللغة العربية إلى جانب اللغات الأجنبية ،كالتركية والفرنسية والانجليزية والإيطالية والألمانية والروسية، إلا أن مدارس الدولة في ولايتي بيروت، ودمشق كانت تعمل على إضعاف اللغة العربية وتقوية اللغة التركية بين طلابها ليس هذا بحسب، بل كانت هذه المدارس تقوم بتدريس القواعد العربية باللغة التركية ويقوم بتدريسها مدرسون أتراك، وفي عام 1910 أرسلت وزارة المعارف إلى المكتب الإعدادي في بيروت معلما تركيا ليعلم التلاميذ اللغة التركية، وقد تمادى الاتحاديون في سياسة التتريك هذه فجعلوا اللغة التركية لغة الدوائر الرسمية في جميع الولايات، فكانت المعاملات الرسمية تجرى باللغة التركية وكذلك المرافعات في جميع محاكم الدولة، وفرضوا على تجار العرب تقديم البيانات إلى الدوائر الجمارك باللغة التركية والفرنسية، كما أمروا أن تكون المراسلات بالتركية بين فروع جمعية الاتحاد والترقي الموجودة في الولايات العربية وبين المركز الرئيسي في سالونيك، وحتى في مجلس المبعوثان فرضت المناقشات باللغة التركية، ومنع استخدام اللغة العربية في كتابة عرائض الشكاوي المقدمة إلى هذا المجلس.[3]

---

(1) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص 398
(2) حديثة مراد : الواقع العربي (التغيير- المستقبل) ، (دط) ، حقوق الطبع محفوظة (دم) ، 1996 ، ص 47
(3) حديثة مراد : المرجع نفسه ، ص 48

المطلب الرابع : التتريك في الدين ومحاربة الإسلام

اتسم موقف الاتحاديين من الدين بطابع عدائي، فحاربوا تيار الجامعة الإسلامية وعملوا على تنفيذ رغبات الماسونيين في القضاء على الوحدة الإسلامية، وحادوا بالدولة عن الصراط المستقيم ومنهج الشرع القويم ، وقاموا ببعض الحملات على الدين منها :
ما وقع أثناء الحرب العالمية الأولى من نقلهم رابطة المحاكم الشرعية من المشيخة الإسلامية إلى الوزراة العدلية، ومنها حملاتهم الاعتراضية على كثير من الأحكام الشرعية وطعونهم المنتشرة على صفحات الصحف والكتب بما يهتك حرمة الإسلام، وذلك مثل كتاب (قوم جديد) الذي جعلوا فيه لدينهم أركانا لا صلاة فيها، لاصوم ولا حج ....الخ، ومنها اضطهاد علماء الدين والبطش بهم وإدخالهم السجون ، وقد جرت عادة الاتحاديين على شن الغارة على الطائفة المسلمة المعممة (أي التي تتزيا بالعمامة) عند كل ثورة أو حادثة سياسية ، حتى أن الجيش المجهز المنساق من سلانيك عند دخوله الآستانة عمم القبض على كل من لقي في شوارعها من العلماء ومتعلميهم وسمتهم الطائفة المعممة، وقد سرت في عهد الاتحاديين الدعوة إلى سفور المرأة ونزع الحجاب وحمل لواءها يهود الدونمة اللذين كانوا على اتصال وثيق بالجهات العليا حكومة الاتحاد والترقي فقد دعى هؤلاء إلى نزع الحجاب وإلى الاختلاط، وتولت أجهزة الدعاية التي كانوا يمتلكونها إصدار الكتب والرسائل والمقالات لمهاجمة الحجاب، وأفاضوا في الكتابة عن مساوئه، وزعموا أنه ليس من الإسلام وإنما انتقل من الروم إلى المسلمين، كما أخذوا يروجون السفور ويكثرون من إقامة الندوات والمحاضرات العامة، لكي يتيحوا أكبر الفرص للاختلاط بين الشبان والشابات، ولم يكتفوا بهذا بل هجموا على شعائر الإسلام، فقد شنت مجلة (اجتهاد) حملة شنعاء على الدين الإسلامي للنيل منه، ووصفته بأنه دين مختلف عن ركب الحضارة والعصر. [1]

([1]) سليمان بن صالح الخراشي : المرجع السابق ،ص 71، 72

المبحث الثالث: سياسة جمال باشا في بلاد الشام

عين أحمد جمال باشا(انظرالملحق 9) قائدا للجيش الرابع في بلاد الشام ومع إطلاق يده في العمل السياسي العسكري في المنطقة (سوريا، فلسطين، لبنان) وصولا إلى الحجاز واضعا نصب عينيه هدفين أساسين، هما نزع امتيازات جبل لبنان وحكمها مباشرة من قبل الباب العالي والهدف الثاني ضرب أي نزعة قومية لدى العرب مع تتريك كامل لبلاد الشام وقمع أي نزعة استقلالية . [1]

وبعد أن حقق جمال باشا مشروعه الأول، باشر في تنفيذ مشروعه الثاني فأمر بإقفال المؤسسات التعليمية في جبل لبنان وأقام مكانها مدارس عثمانية في بعض مدنها وقراها كانت غايته تدريس تاريخ الأتراك ولغتهم وآدابهم، كما طلب من هذه المؤسسات إدخال مادتي التاريخ العثماني واللغة التركية في برامجها، وعدم مضايقة الطلاب المسلمين المنتسبين إليها وإجبارهم على حضور القداس أو الصلوات في الكنائس.

هذا وقد أخضع جمال باشا دوائر البريد لمراقبة خاصة وعين عليها بعض رجاله اللذين كانوا يدققون في رسائل المواطنين التي كانت تأتيهم من الخارج، وقد أولى جمال باشا كذلك الصحافة اهتماما خاصا، فأغدق على بعضها الأموال حتى بلغت في عام 1915 خمسمائة ليرة ذهبية، تصرف على الصحف أقساطا حسب أهمية الصحيفة وساهم أيضا بمنحها الورق الخاص بالطباعة كما أعفى رجالها من الخدمة العسكرية(هذا بالنسبة للصحف التي تعتبر حليفة لسياسته).أما الصحف المناوئة لسياسته كجريدة "زحلة الفتاة" و"ولسان الحال" و"الثبات" فقد أمر بإيقافها ومعاقبة محرريها بالنفي أو بالإعدام. هذا وقد أقام جمال باشا العديد من الجواسيس والمخبرين، كان بواسطتهم تراقب تصرفات المشبوهين، لذالك فقد اهتم [2] جمال

([1]) مذكرات جمال باشا: إعداد محمد السعيدي ، ط ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2013 ، ص 9

([2]) علي معطي: المرجع السابق ،ص245، 246

باشا اهتماما كبيرا بتنظيم دائرة الاستخبارات هذه في لبنان وسوريا وفلسطين حتى ناهز عدد المخبرين المائتين في هذه المناطق. [1]

المطلب الأول : المحكمة العرفية في عالية

والواقع أن محكمة عالية كانت أهم هذه المحاكم جميعها، وأبعدها أثر في تاريخ العلاقات العربية – التركية، فهي التي تولت التحقيق مع الشبان العرب وحكمت على بعضهم بالموت شنقا وعلى البعض الآخر بالنفي إلى مناطق بعيدة نائية في الأناضول، وكانت محكمة عالية تتألف من هيئة تحقيق وهيئة قضاة ومدعي عام .

هذه الوقائع وغيرها تثبت أن المجالس العرفية التي أنشأها جمال باشا في لبنان وسوريا كانت مجالس صورية وأدوات مسخرة بيده، وأن معظم اللذين أعدموا في سوريا ولبنان، ولم يكن نتيجة محاكمات حقيقية وقرارات استندت إلى جرائم صحيحة ارتكبها هؤلاء بحق الأمة والوطن، بل أن إعدامهم كانت نتيجة سياسة مدروسة انتهجتها "جمعية الإتحاد والترقي" للقضاء على العناصر العربية المعارضة لسياسة الاتحاديين، منذ أن قبضت هذه الجمعية على زمام الحكم في الدولة العثمانية وقد أرسلت جمال باشا إلى بلاد الشام لتكملة فصول تلك السياسة بعد أن سنحت الفرصة لذلك في الحرب العالمية الأولى. [2]

المطلب الثاني : السجن ومآسيه

إلى جانب المحكمة العرفية، أقامت السلطة التركية في عالية سجنين: أحدهما خصص لأعضاء الجمعيات العربية واللبنانية الذين اعتقلوا بتهمة العمل على فصل سوريا ولبنان عن السلطة العثمانية بمساعدة فرنسا وانجلترا ودعي بالسجن الخاص، ثانيهما خصص لمرتكبي الجرائم الأخرى ودعي بالسجن العام، وقد أخضع الموقوفون لمراقبة شديدة، فمنع عليهم التدخين والنظر من نوافذ السجن، والتحدث إلى أي شخص، وكان يجلد أكثرهم في الليل [3]

([1]) علي المعطي : المرجع السابق ، ص247

([2]) علي المعطي : المرجع نفسه ، ص250 ، 251

([3]) علي المعطي : المرجع نفسه ، ص 259، 260

بلا هوادة أو يضرب بعضهم على أرجلهم بالسياط، كما كانوا يوخزون الشبان بالإبر، ولا يدعونهم ثلاث ليال متابعة ليدفعوهم إلى الاعتراف، وكانوا يسجنون في أماكن مظلمة ويمنعونهم من التكلم مع بعضهم ولا يسمحون لهم بالكتابة ولا بقراءة الكتب والمجلات والجرائد، وكانوا كذلك يضعون الحديد والقيود في أرجل المتهمين ويوسعونهم ضربا [1]

المطلب الثالث: الإعدام

في بداية الحرب العالمية الأولى أبعد الاتحاديون بعد تولي جمال باشا لولاية سوريا جميع التراجمة العاملين في قنصليات دول أجنبية، ومنهم فيليب زلزل ترجمان القنصل الفرنسي ببيروت، فتوسط له قنصل ألمانيا ووعد فيليب أن يعلم الاتحاديين أشياء هامة وحقائق لايعرفها غيره إذا عفو عنه، وأخبر جمال باشا بأن في قنصلية فرنسا أوراق مدفوعة في حائط الغرفة فعثروا عليها ومن بينها مخابرات القنصل والسفارة ووزارة الخارجية وضمنها المنشور الذي قدمه السيد خليل زينة صاحب جريدة "الثبات" نيابة عن أصحاب الإمضاءات من أعضاء "جمعية النهضة اللبنانية" بوصفهم ممثلين للمسحيين في لبنان بمختلف طوائفهم وهم يعتبرون فرنسا حامية النصارى العثمانيين ويطالبونها بالإستلاء على سوريا ووضع بيروت وملحقاتها تحت المراقبة والحماية الفرنسية.

ونظرا للأهمية السياسية للموضوع فقد قبض على من وجدت لهم مراسلات في القنصلية واقتيدوا للمحاكمة في الديون العرفي بعالية. وفي مذكرات أحمد جمال باشا نجد الكثير من المعلومات المتصلة بموضوع الجمعيات السرية ومؤتمر باريس العربي عام 1913، فضلا عن قضية الإعدامات. [2]

التي تناولت نحو ستين شخصية عربية بين عامي (1915- 1916) حيث يقول جمال باشا في مذكراته: "كنت شخصا موافقا على استعمال اللغة العربية ومنح العرب بعض الامتيازات الإدارية، فطلبت عبد الكريم الخليل زعيم الحركة الثورية العربية وغمرته بعاطفتي وإحساني وبواسطته اجتمعت ببعض زعماء الثورة وأخص منهم بالذكر – عبد الرحمان شهبندر (أكثرهم اندفاعا) وصاحب "المفيد"، عبد الغاني العريسي أحد كبار منظمي المؤتمر العربي

---

(1) علي المعطي : المرجع السابق ، ص 261،262
(2) موفق بني المرجة : صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلاقة الإسلامية ،(دط) مؤسسة صقر الخليج الكويت ، 1984 ، ص 328،329

بباريس، محمد كرد علي صاحب جريدة "المقتبس" الشهيرة [1] وبسطت لهم خطة الحكومة وأكدت أن تحرير العالم الإسلامي من النير الأجنبي ممكن تحقيقه لو عقد النصر بألويتنا،وقد وافقوا على أقوالي وأقسموا بالله وبشرفهم أن يحافظ عرب سوريا وفلسطين على ولائهم للدولة العثمانية ".

وانتهز هؤلاء الفرصة فأبدوا حاجاتهم إلى المال، لاسيما عبد الكريم الخليل فاستحبت لهم وغمرته مع كرد علي والعريسي بالأموال الطائلة ومنذ ذلك الحين أصبحوا خدما مطيعين وبذلت جهدي لخلق جو من الحمية الدينية فأقمت خطة بالتعاون مع أولئك الزعماء "الإصلاحيين" وتبارى الشعراء والخطباء، ثم ألقيت خطة بنيت فيها أننا مخلصون للغة العربية باعتبارها لغة الدين الحنيف، ونحب الشعب العربي الذي تجمعنا به وحدة العقيدة الدينية ،وأن حركة الجامعة التركية التي شهدتها الأستانة لا تتضارب مع المطامع العربية. وأحدثت الخطبة أثرا حميدا في الحاضرين وتوافد كبارهم للإعراب عن شكرهم، وبعد أيام تظاهر سكان دمشق معربين عن ولائهم للدولة معاهدين على المساعدة ضد مطامع الإنجليز والفرنسيين.

وأمرت بعدم مصادرة أي شيء أو يدفع أثمان الحاصلات المشترات نقدا، كما حرصت على اصطحاب عدد من "الإصلاحيين" أينما ذهبت تعزيزا لمكانتهم في قومهم .

أن نصارى لبنان يستعدون للثورة لدفعي لتجريدهم من السلاح فرفضت مؤكدا لهم احترام جميع امتيازاتهم القديمة وجاء ثلاثة أساقفة لإبلاغي بشكر المونسيتور إلياس الحويك بطريرك الطائفة المارونية وللإعراب عن ولائهم وإخلاصهم، ولكن بعض المشبوهين من الموارنة والدروز أثاروا اضطرابات بتحريض من فرنسا وانجلترا فاتخذت الاحتياطات لردعهم وفرضت عليهم الإقامة الجبرية بالقدس وتم وضع قائمة بأسمائهم بإيعاز من الإصلاحيين وبمشورة بعض زعماء لبنان. ولا أراني قد أحسنت صنعا بنفيهم فهم الذين ساعدوا فيما بعد ببسط الحماية الفرنسية ويضيف: رجاء الشيخ أسعد الشقيري، مفتي الجيش فأخبره بأن جماعة الإصلاحيين يعدون لثورة وأن كامل بك الأسعد مبعوث بيروت يملك معلومات تفصيلية .وحضر كامل الأسعد للقدس وقال: أن رضابك الصلح مبعوث بيروت الأسبق بالتعاون مع عبد الكريم الخليل يقومان بتنظيم العصيان في جهتي صور وصيدا وأصدرت

([1]) موفق بني المرجة: المرجع نفسه ، ص329

التعليمات لتحقيق فأسفر بعد أسبوعين عن إدانة كل من: رضا بك الصلح وعبد الكريم [1] الخليل فأمرت بالقبض عليها مع أنصارهما، وآنذاك أيقنت أن من الحماقة وضع الثقة بأولئك "الإصلاحيين" وصممت على اتخاذ الإجراءات الصارمة ضد كل خائن.)

ويقول : (مع أنني كنت موقنا بأن أمثال رفيق العظم والشيخ رشيد رضا وعبد الكريم الخليل لا يترفعون عن أن يبيعوا أنفسهم للإنجليز والفرنسيين فقد استبعدت كل الاستبعاد أن رجلا مجربا مثل الشريف حسين * وقد شابت لحيته وأصبحت قدمه على حافة القبر، تصل به الوقاحة وتدفعه الإنسانية والمطامع الشخصية إلى حد المغامرة لمشروع سيؤدي تطوره حتما إلى الإذلال للعرب، بل للعالم الإسلامي بأسره.)

وقد أورد جمال باشا في مذكراته عددا من الوثائق التي سبق أن نشرها في كتابه "حقيقة" المسألة السورية في معرض التدليل على إدانة الذين تناولتهم محاكمات الديوان العرفي بعالية وفي هذه الأدلة التي أوردها:

1.كتاب القنصل الفرنسي العام بدمشق إل ذى وزارة الداخلية الفرنسية، بخصوص التدخل لقضية نخلة باشا مطران.

2.كتاب نخلة مطران إلى مسيو كوجيه قنصل فرنسا العام في سوريا الذي يعرب فيه عن تأييد النصارى العثمانيين وآمال النصارى السوريين بتأييد فرنسا باعتبارها الحامية الطبيعية لهم.

واستنادا إلى هذه الوثائق وغيرها أصدر الديوان العرفي بعالية، أحكامه على عدد كبير من الشخصيات العربية التي تراوحت مابين الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة، والسجن لمدة طويلة وكان نخلة مطران باشا قد حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة إلا أنه قتل خلال محاولته للهرب من حراسه بينما كانوا ينقلونه من لبنان إلى الأستانة.

أما القافلة الأولى من الذين أعدموا شنقا في بيروت يوم 14 أوت 1915 فقد شملت: عبد الكريم الخليل الحمصاني، نور الدين القاضي، صالح حيدر، عبد القادر الخرسنا، علي الأرمنازي، سليم عبد الهادي، محمود العجم، محمد مسلم عابدين. بينما تم توزيع القافلة [2]

([1]) موفق بني مرجة : المرجع السابق ، ص 330، 331

([2]) موفق بني المرجة : المرجع نفسه ، ص 332

* الشريف حسين (1854-1931):ملك الحجاز ومؤسس الأسرة الهاشمية المالكة في العراق سابقا وفي الأردن وآخر من حكم مكة من "الأشراف" الهاشميين ،وهو والد الملك فيصل والملك عبد الله والملك علي ،ولد في اسطنبول منفى والده،وانتقل إلى مكة وهو طفل حيث تفقه ونظم الشعر توفي عمه الرفيق عوني،عين أميرا لمكة وقاتل إلى جانب الأتراك في عسير.

الثانية ممن حكموا بالإعدام يوم 6 ماي 1916 لتنفيذ الحكم في عدة مدن، فتم في ساحة المرجة بدمشق إعدام كل من: شفيق المؤيد وعمر الجزائري وعبد الحميد الزاهراوي شكري العسلي وعبد الوهاب الانجليزي ورشيد الشمعة ورفيق رزت سلوم .(أنظر ملحق 10)

وفي ساحة البرج بيروت نفذ حكم الإعدام في كل من: عمر حمد، محمد حسنين الشنيطي عبد الغني العريسي، عارف الشهابي، توفيق السباط، أحمد طبارة، سيف الدين الخطيب سعيد عقل، بتروباولي، جرجى حداد، سليم الجزائري، أمين لطفي الحافظ وجلال البخاري. وفي ساحة باب العمود بالقدس تم إعدام: أحمد عارف الحسيني، مصطفى أحمد الحسني علي عمر النشاشيبي، كما صدرت أحكام الإعدام غيابيا على عدد آخر من رجالات العرب. [1]

المبحث الرابع : نتائج سياسة الاتحاديين في بلاد الشام

ظهرت الجمعيات السياسية بعد أن خيبت سياسة الاتحاديين القائمة على أساس التعصب القومي (والإصلاح بالسيف)، لذلك نجد أن العرب اختاروا سبيلهم الخاص بهم بما أملته عليهم يقظة شعورهم القومي فأقدموا على فتح هذه الجمعيات ومن بينها نجد:

-الجمعية المركزية السورية (1908): التي دعت إلى استقلال سورية إداريا، دولة بعلم واحد، وكل يدير شؤونه الداخلية بنفسه، ويطور ثقافته بطريقته الخاصة، وكان من أهداف الجمعية توطيد المصالح السورية والأمة العربية.

-جمعية المنتدى العربي(1909): تمثلت أهدافه في جمع الشباب العربي في الآستانة وانتزاع حقوق العرب من الأتراك وبث المبادئ السامية بين الشباب العربي في الآستانة وخارجها ونشر الدعوة إلى القضية القومية، ومن الأسس التي يقوم عليها: الأمة العربية أمة واحدة فقدت مجدها واستقلالها لتسليط الأجانب عليها، والبلاد العربية بلاد غنية يطمع فيها الأقوياء، ويعملون على استعمارها، ولا سبيل إلا لتعديل هذه الحالة إلا بتقوية العنصر العربي في الدولة، وجعله قادرا على الدفاع عن حياته .

-جمعية النهضة اللبنانية (1912): تأسست في بيروت وتلخصت أهدافها في تمهيد السبيل لفرنسا للاستيلاء على سورية ووضعها تحت الحماية ،وتمثلت أهميتها في أنها شكلت جزءا مكونا[2] من حركة التحرر ضد السيطرة التركية، وكان الوطنيون العرب يتعاونون مع هذه

---

(1) موفق بني مرجة : المرجع السابق،ص333

(2) فدوى نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (1840-1918) ، (دط) ،(دم) (دس)، ص 20

الجمعية وفي وقت لاحق تركت نظرات قادة الجمعية بصمة جوهرية على قرار لجان الإصلاح في بيروت ودمشق وحزب اللامركزية ونتائج عمل المؤتمر العربي الأول في باريس [1]

-الجمعية الإصلاحية في بيروت: عام 1913 تأسست هذه الجمعية الإصلاحية في بيروت وأقرت مناهجها في جلستها الثالثة المنعقدة في دار المجلس البلدي بإذن من الحكومة يوم الجمعة الموافق لـــ 21 جانفي 1913 وقد جاء في مستهل المنهاج: الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية، ويتألف المنهاج من خمسة عشر مادة جاء في المادة السابعة منه تعيين الحكومة المركزية مستشارين من الأجانب على شرط معرفتهم إحدى اللغات الثلاث العربية أو التركية أو الفرنسية للدوائر الآتية في مركز الولاية: وهي الجند رمة والمالية (يلحق بها غرفة التجارة) والبريد والبرق والجمرك، وتعيين أيضا مفتشا أجنبيا عاما لكل لواء من الولاية يخول حق تفتيش أي دائرة كانت في اللواء، وجاء في المادة الخامسة عشر تخفض الخدمة العسكرية إلى سنتين، وتقضى الخدمة الوطنية أيام السلم في الولاية .

-المؤتمر العربي بباريس 1913: وفي 4 من مارس 1913 وجه شباب جمعية العربية الفتاة، كتاب إلى اللجنة العليا لحزب اللامركزية في القاهرة وإلى الجمعيات الأخرى العربية يدعونهم إلى الحضور المؤتمر غايته البحث في تدابير الواجب اتخاذها لوقاية الوطن من الطوارئ وإصلاح أمور البلاد على أساس اللامركزية ومن أهم الأسس التي قام عليها:

- يجب اعتبار اللغة العربية في مجلس النواب والأعيان.
- أن تكون اللغة العربية لغة رسمية في البلاد العربية.
- يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها .
- تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية إلا في الظروف التي تدعو إلى الاستثناء الأقصى .
- من المهم أن يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية [2]

أما الموقف الثاني فهو الموقف المتجسد من سياسة جمال باشا ومن نتائجها كالآتي :

([1]) فدوى نصيرات : المرجع السابق ، ص 21

([2]) محمد بديع شريف وزمتي الماجدي : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ط2 ، دار إقرء ، بيروت ، لبنان 1984، ص 104، 105، 106

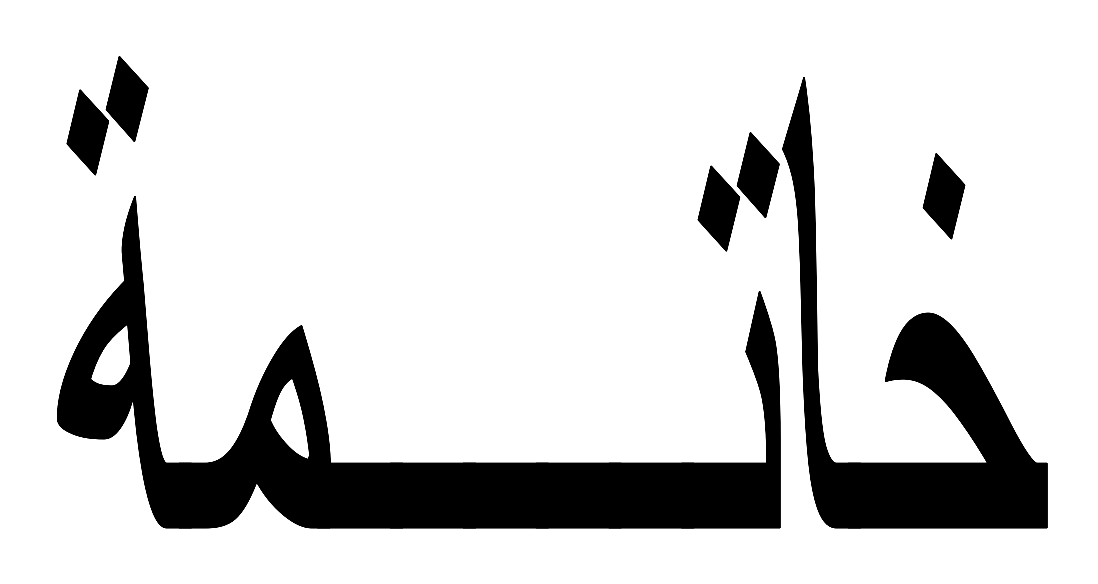
ولعل أبعد الأحداث أثرا في تشكيل القضية العربية وتحديد اتجاهاتها بعد زوال العهد الحميدي كانت سياسة الأتراك الاتحاديين، إزاء الأقاليم العربية وظروف الحرب العالمية الأولى فسياسة جمعية الاتحاد والترقي أو الأتراك كانت تقوم على الإرهاب وتتريك الشعوب وارتكاب أنواع من المظالم فأقمت كل ما كان يوجه إلى العهد الحميدي من تهم وكان لهذه السياسة أثرها الواضح في تحويل اتجاه القضية العربية من مجرد دعوة إلى الإصلاح واللامركزية في إطار الدولة العثمانية الموحدة إلى حركة سياسية جادة ترمي إلى استغلال البلاد ثم إلى ثورة مسلمة ضد الأتراك .

فخلال سنوات الحرب (1914-1918)أثمرت سياسة البطش والإرهاب التي اتبعها جمال باشا حاكم سوريا كانت ثمرتها الأولى ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانية ، واتجاه العرب في بلاد الشام إلى الاستقلال التام، وكان ذلك أخطر تحول في المنطقة العربية منذ أن هبت عليها رياح الوعي السياسي في نهاية القرن التاسع عشر، ودخلت القضية العربية مرحلة جديدة، لم يعد العرب فيها عرب عثمانيين وإنما أصبحوا يتطلعون إلى استعادة مركزهم القيادي في العالم الإسلامي عن طريق تحقيق الاستقلال التام والوحدة الشاملة .

زد إلى ذلك آن آثار سياسة جمال باشا هي التي دفعت الشريف حسين ابن علي وقادة الحركة العربية في سوريا إلى الوقوع في فخ الوعود البريطانية التي بدأت بمراسلات " حسين الشريف – مكماهون" دون أن يعلموا أنهم مساقون إلى أكبر خديعة في تاريخهم الحديث. (1)

---

(1) محمد الخير عبد القادر: نكبة الأمة العربية " سقوط الخلافة العثمانية، دراسة للقضية العربية في خمسين عاما (1875-1950) ، ط، دار التوفيق النموذجية ، (دم) ، ص 83


خاتمة

وفي الأخير ما يسعنا القول من هذا البحث هو أنه بالفعل لقد تجسدت في منطقة بلاد الشام منذ أواخر العهد العثماني نوعين من السياسة في مرحلتين مختلفتين بحيث تختلف السياسة الأولى عن السياسة الثانية لذلك فكل هذه الأحداث ومجرياتها أخذت تحدث تغيرا في المنطقة ، ولكن نستطيع القول أن في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في الشام كان فيه نوع من التغيير فقد أدخل العديد من الإصلاحات في عدة مجالات (الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيره من الإصلاحات في مختلف الميادين)، فقد حاول الإصلاح من اجل لم شمل الأمة الإسلامية ومواجهة الدول الأوروبية وخاصة أن الفترة التي حكم فيها السلطان عبد الحميد الثاني هي فترة ضعف وفترة دسائس من قبل الدول الأوروبية هذا إلى جانب مصالحها في المنطقة ولكن والشيء الايجابي في فترة السلطان عبد الحميد الثاني هي سياسته اتجاه الحركة الصهيونية فهو منع الإقامة اليهودية في فلسطين واعترض على بيع ولو شبر واحد من أراضي فلسطين هذا هو الشيء الجميل فهو يرفع من شأن الأمة الإسلامية ومكانتها ، ويعزز الجانب الديني في نفوس أبناء هذه الأمة لأن ما فعله السلطان عبد الحميد الثاني لفلسطين لم يستطع أي احد إلى غاية اليوم أن يفعله فنتيجة التخاذل العربي دفع بدولة

وحيدة ألا وهي فلسطين تعاني من ويلات الاحتلال إلى غاية اليوم وهنا السؤال الذي يطرح إلى كل من قال عن السلطان عبد الحميد الثاني أنه مستبد فماذا فعلتم انتم من اجل فلسطين؟

وأيضا في هذه الفترة و في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر نوع من التغيير سواء في الأوساط العربية أو التركية أصبح كل من الجانبين يبحث عن إبراز هويته وإحياء أمجاده ففي فترة تولي الاتحاديين الحكم بعد أن قاموا بعزل السلطان عبد الحميد الثاني وبمساعدة كما وان سبق وان ذكرنا كل من اليهود والماسونية بدءوا في تطبيق سياستهم.فالمنطقة أي بلاد الشام بعد أن واجهت عزل السلطان عبد الحميد الثاني بكل غبطة وسعادة ظننا منهم انه بعد عزله بزغ فجر جديد أي

عهد جديد في ظل حكم الاتحاديين ولكن حدث العكس تماما فقد قام الاتحاديون بإحياء مجدهم وتتريك باقي القوميات الأخرى الغير العثمانية ومحاربتهم للدين الإسلامي بعد أن كانت البلاد العربية ومابين قوسين بلاد الشام تعيش في كنف الخلافة الإسلامية وتحت راية الدين الإسلامي أصبحت تعيش في ظل السياسة التعسفية.

ضف إلى ذلك سياسة جمال باشا في منطقة بلاد الشام والتي كانت أشد عنفا لما ارتكبه من جرائم في ساحات بلاد الشام من إعدام وسجن وشنق بالإضافة إلى تدهور الأوضاع في المنطقة في ظل حكم جمال باشا ،فلم يستطع سكان بلاد الشام أن تقف صامتة من سياسية الاتحاديين ككل وجمال باشا خاصة فبدأت تظهر الجمعيات المنددة بالانفصال عن الدولة العثمانية وموقف آخر تجسد بالتحالف مع كل من بريطانيا وفرنسا من أجل رفع راية الاستقلال وهذا الموقف الأخير كلف البلاد العربية ومنطقة بلاد الشام إلى دفع الثمن غاليا .

الملاحق

ملحق رقم (01): يمثل خريطة جغرافية بلاد الشام



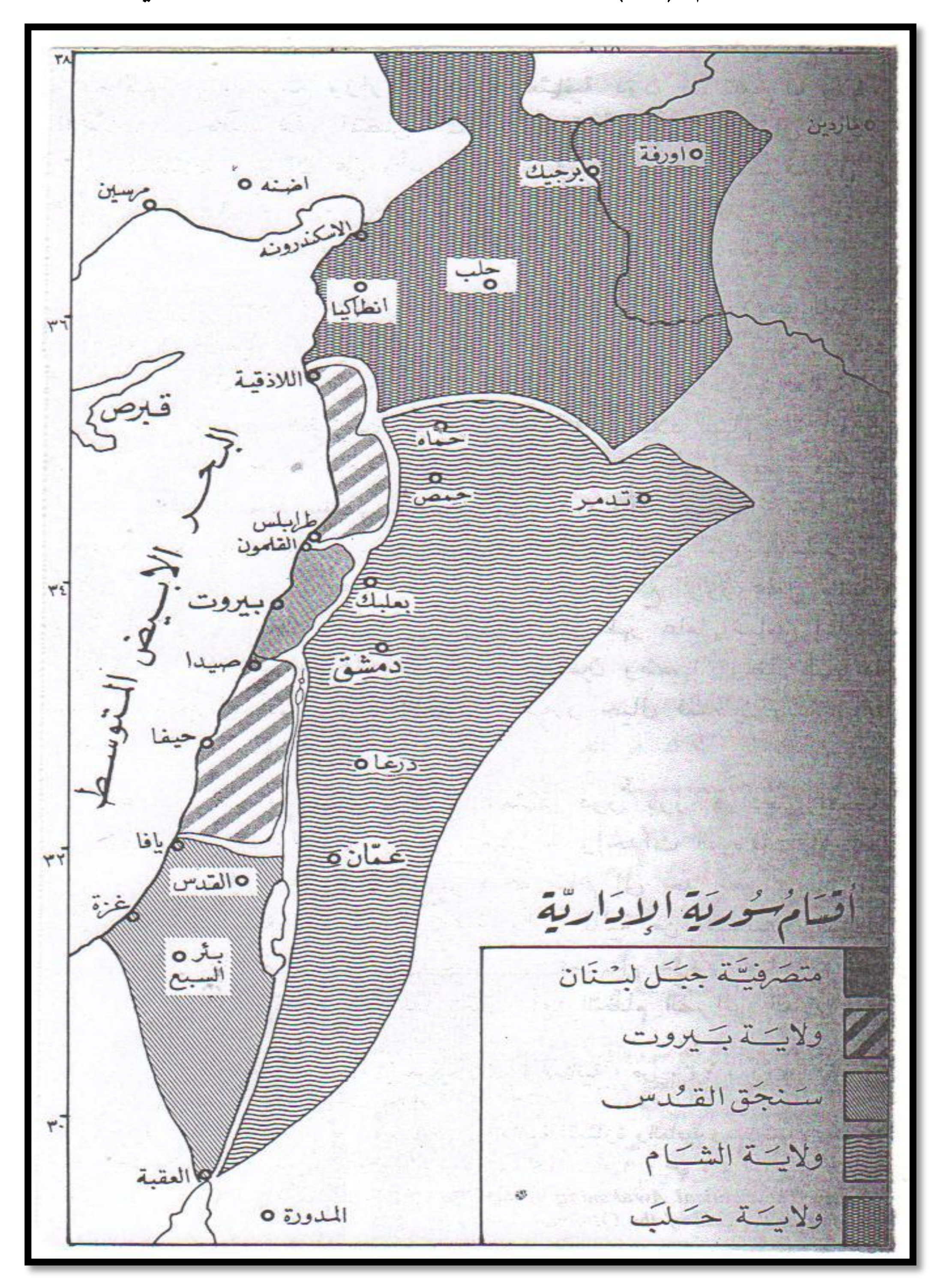
(1) http://ar.wikipedia.org/wikiB4

ملحق رقم (02): يمثل صورة السلطان عبد الحميد الثاني



(1) موفق بني المرجة : المرجع السابق ، ص 63

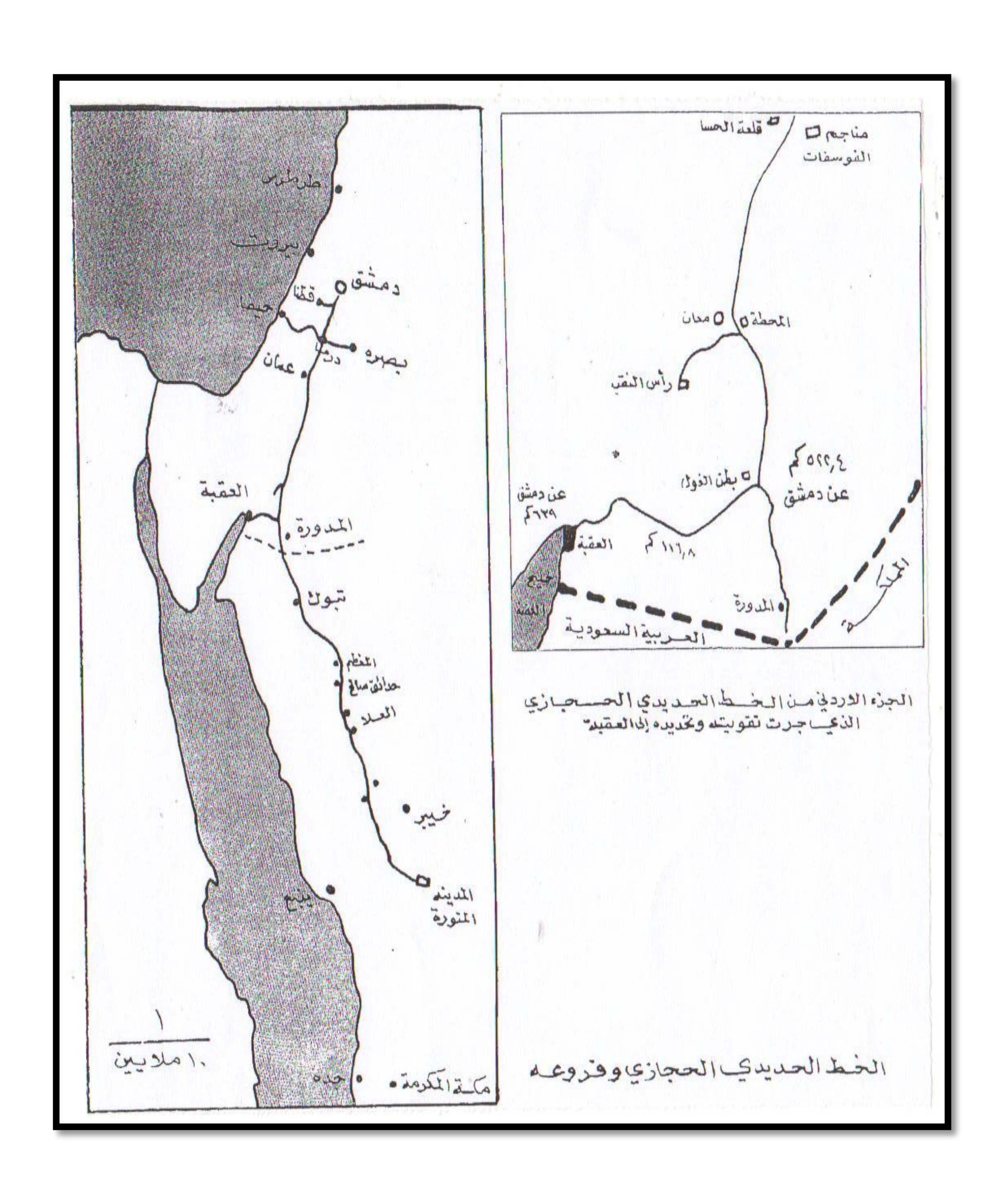
ملحق رقم (03): خريطة تمثل التقسيمات الادارية في سورية



---

(1) حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية : المرجع السابق، ص34

ملحق رقم (04) : يمثل الخط الحديدي الحجازي وفروعه



---

(1) موفق بني المرجة : المرجع السابق، ص 110

ملحق رقم(05) : يمثل شعار جمعية الإتحاد والترقي



يظهر هذا الرسم شعار جمعية الاتحاد والترقي – معنوناً بعبارة بادشاهم جوق يشا أي عاش مولانا السلطان – ، وهو نفسه شعار الماسونية ، قارن بالملحق رقم (١٢)

(1) حسان حلاق : المرجع السابق، ص 364

ملحق رقم (06): يمثل شعار جمعية الإتحاد والترقي الشبيه لشعارات الماسونية



صورة شهادة ماسونيّة اعطتها عمدة العشيرة من ذوي الطقس الاسكتلندي الى احد السوريين في ١١ آذار (مارس) سنة ١٩٠٨ . ويلاحظ في هـذه الشهادة شعارات الماسونية وهي نفسها شعارات جمعية « الاتحاد والترقي » .

---

(1) حسان حلاق، المرجع السابق، ص 365

ملحق رقم(07): يمثل : نص فتوى خلع السلطان عبد الحميد الثاني

فتوى خلع السلطان عبدالحميد الثاني (١)

في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٩م اجتمع ٢٤٠ عضوا من مجلس الاعيان في جلسة مشتركة وقرر بالاتفاق خلع السلطان عبدالحميد الثاني وكتب مسودة الفتوى الشيخ النائب حمدي افندي المالي لكن أمين الفتوى نوري افندي الذي دعي للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه ان لم يجر تعديل عليها وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الاخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه.

واليكم نص الفتوى ذات الوجهين الموقع من قبل شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي ووافق عليها مجلس المبعوثان بالاجماع..

«اذا قام أمام المسلمين زيد فجعل ديدنه طي واخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية وجمع الكتب المذكورة والتبذير والاسراف من بيت المال واتفاقية خلاف المسوغات الشرعية وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظالم الأخرى ثم اقسم على الرجوع عن غيه ثم عاد فحنث وأصر على احداث فتنة ليخل بها وضع المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الاقطار الاسلامية بالتكرار ما يشعر باعتبار زيد هذا مخلوعا فلوحظ ان في بقائه ضررا محققا وفي زواله صلاحا فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم. الجواب: نعم يجب.

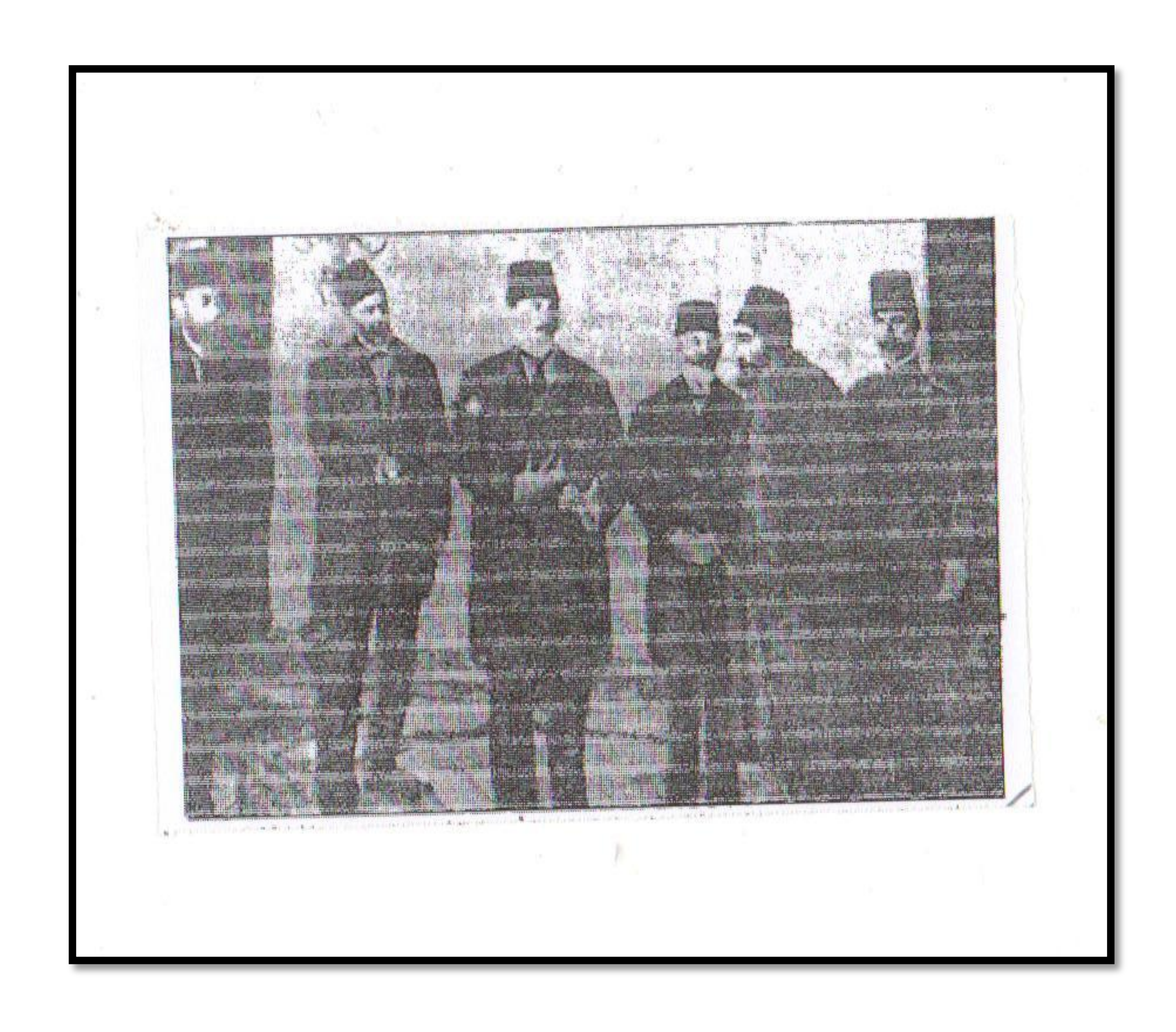
كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين عفا الله عنه. (٢)

التوقيع
شيخ الاسلام
محمد ضياء الدين افندي

---

(1) موفق بني المرجة: المرجع السابق، ص414

ملحق رقم (08): يمثل : صورة لحظة عزل السلطان عبد الحميد الثاني



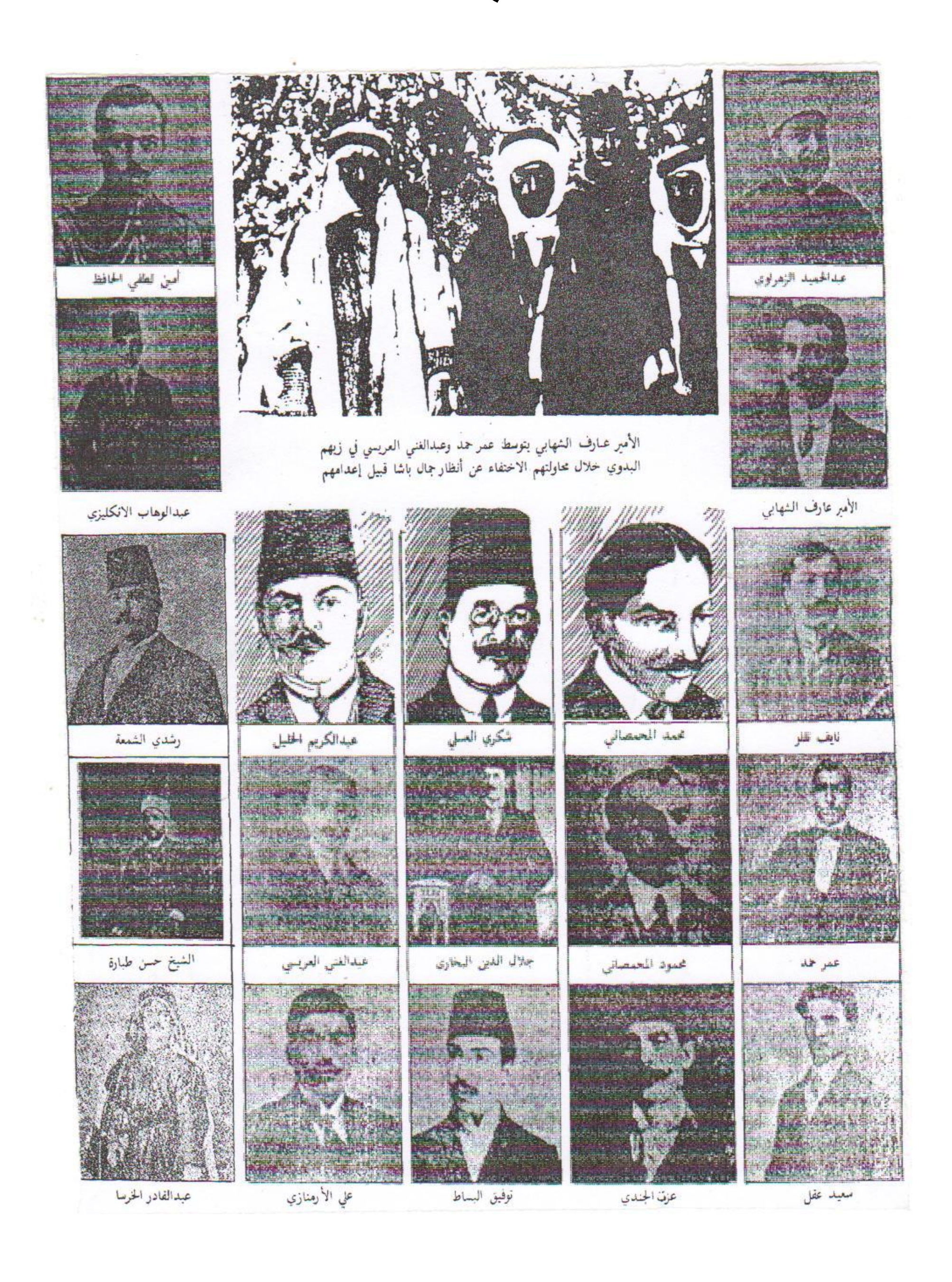
(1)موفق بني المرجة : المرجع نفسه، ص 214

ملحق رقم (09) : يمثل : صورة جمال باشا



(1) http://assafir.com/Article/30418

ملحق رقم(10) : يمثل صورة للأشخاص الذين تم إعدامهم من طرف جمال باشا



---

(1)موفق بني المرجة ، المرجع السابق، ص 329

قائمــة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصـــــــادر :

جورج أنطونيوس :يقظة العرب في تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ناصر الدين الأسد و إحسان عباس ، ط4 ، دار المعلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، 1989 .

السلطان عبد الحميد الثاني : مذكرات السياسية من 1891 إلى 1908 ، مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ، 1986.

محمد بن علي البروساوي الشهير بإبن سباهي أزادة: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك ، تحقيق الهدى عبد الرواضية ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان . 2006

مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي : والدي السلطان عبد الحميد الثاني تقديم أكمل الدين حسان أوغلي ، ط1 ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، 1991.

مذكرات جمال باشا: إعداد محمد السعيدي، ط1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2013.

المراجـــــع بالعربية:

ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق علي منتصر الكتاني ج1 ، ط4، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1985.

أحمد طربين : التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا ؟ ط 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، لبنان ، 1987.

احمد طربين : تاريخ المشرق العربي المعاصر ، (د ط) جامعة دمشق ، سوريا 1986

أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني ، ط3 ، دار الثروة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2003.

إسماعيل أحمد ياغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ط 2 ، مكتبة العبيكان الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1998

إسماعيل أحمد ياغي : العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط 1 ، مكتبة العبيكات الرياض المملكة العربية السعودية ، 1997.

إسماعيل العربي : التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المشرق : ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1970.

جلال يحي : العالم العربي الحديث والمعاصر ،ج 1، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية مصر ، 2001

جمال عبد الهادي محمد سعود : المجتمع الإسلامي المعاصر ، الجزء الأول ، ط 1 ، دار الوفاء للنشر والتوزيع (د،م)،1995.

جميل بيضون وآخرون: تاريخ العرب الحديث،ط1، دار الأمل، عمان،الأردن،1991

حسان علي حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، 1909/1897 ، ط2 دار النهضة العربية بيروت لبنان ، 1999

حسان علي حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ، 1908 –1909 ، الدار الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان

حديثة مراد: الواقع العربي (التغيير–المستقبل)،(دط)،حقوق الطبع محفوظة(دم) 1996.

خالد السيول : الهاشميون من حكم الإمارة العثمانية إلى تأسيس الممالك العربية ط 1، دار الأهلية ، عمان الأردن ، 2013

رفيق شاكر النتشه : عبد الحميد الثاني وفلسطين ط3 ، المؤسسة العربية ، (دم) ، 1991

روبر مانتيزان : تاريخ الدولة العثمانية ، ج 2 ، ترجمة البشير السباعي ، ط 1 ،دار الفكر ، القاهرة ، مصر ، 1989.

رياض حمودة ياسين وأحمد ممدوح الفاعوري: تاريخ القدس السياسي والحضاري ، ط 1 ، دار وائل ، عمان ، الأردن ، 2012 .

زهير عبد الجبار الدوري: الفكر والسياسة لدى الجمعيات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى،ط1، دار الأوائل، دمشق ،سوريا، 2005.

سامية محمد جابر : قضايا العالم العربي ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان 2003.

سليمان بن صالح الخراشي : كيف سقطت الدولة العثمانية ،ط 1 ، دار القاسم للنشر والتوزيع 1420هـ.

سميح فرسون : فلسطين والفلسطنيون ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2003 .

عاطف عيد: قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم ، ج23 ، 1999.

عبد الجليل التميمي : الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني الطبعة الأولى منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات 1988.

عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العرب(مصروالعرا ق)،(دط)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ،(دس)

عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى : التنصير الأمريكي في بلاد الشام 1834–1914 ، ط 1 مكتبة مدبولي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2005.

عبد العزيز شرف : الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية ، ط 1 ، عالم الكتب القاهرة ،مصر ،2004.

عبد العزيز محمد عوض : الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864– 1914 تقديم أحمد عزت عبد الكريم ، دار المعرف القاهرة، مصر ، 1969.

عبد الفتاح حسن أبو علية : الدولة العثمانية والوطن العربي ، ط 1 ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2008.

عبد المنعم السيد علي : التطور التاريخي للأنظمة النقدية في الأقطار العربية ، ط 1 ، مركز الدراسات للوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ،ج 2 مكتبة حسن العصرية ، بيروت ، لبنان ، 2010.

علي معطي : تاريخ لبنان السياسي والإجتماعي (دراسة في العلاقات العربية التركية 1908– 1918)، ط 1 ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1992.

الغالي غربي : دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ، 1288– 1926 ، ط1 ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007.

فدوى نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر(1840– 1918)، (دط)؛ (دم)، (دس)

فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، مجلد 1 ، (دط) ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، لبنان ، 1913

قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى 1916 – 1925 ، ط 2 ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1994.

ماري دكران ساركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني ، (دط)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 2010

محمد الخير عبد القادر: نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، (دراسة للقضية العربية 50 عاما، 1875–1950)، ط1 ، دار التوفيق النموذجية 1985.

محمد الناصر النفزاوي : التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية ، 1918/1839 ، ط1 ، دار محمد علي الحامي ، صفاقس ، تونس ، 2001

محمد سعودي : الوطن العربي ، دراسة لملاحة جغرافية ، دط ، دار النهضة العربية بيروت، لبنان ،1987

محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : تاريخ العرب الحديث ، دط ، دار الأهلية ، عمان، الأردن ،1989 .

محمد علي الأحمدي : سقوط الخلافة عرب بلاد الشام والدولة العثمانية ، ط 1 ، دار الإسراء للنشر والتوزيع عمان ،الأردن ، 2007.

محمد محمود صياد : معالم جغرافية الوطن العربي ، المجلد الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان، 1970.

محمد صالح رمضان: جغرافية الجزائر والعالم العربي، (دط)، دار الكتاب ، الجزائر،(دس).

محمد مظفر الأدهمي : تاريخ الوطن العربي الحديث (المنهج والوقائع)ط 1، عمان الأردن ، 2010 .

محمد عبد الرحمان برج : التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، دط ، دار التعليم الجامعي ، عمان ، الأردن ، 2010

محمد بديع شريف وزمتي الماجدي: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، ط 2، دار اقرأ ، بيروت ، لبنان، 1984.

محمد حرب :العثمانيون في التاريخ والحضارة، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا1989

محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين(من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة)ط 2 دار النفائس، بيروت، لبنان،2008.

محمد صفوت السقا أمين وسعدي أوجيب: الماسونية، ط 2، منشورات رابطة العالم الإسلامي،1982.

محمود السيد : العرب في أخطر المعارك العربية في تاريخ العالم ، (دط)، منشأة المفكرين الإسكندرية، مصر ،دس.

محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي ، دار الفكر العربي الرياض ، 1987.

مسعود الظاهر: الدولة والمجتمع في المشرق العربي، 1990/1840 ،(د ط) دار الآداب، بيروت ،لبنان ، 1991

مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال: جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ، دار طيبة ، الرياض المملكة العربية السعودية ، 1983

مصطفى طلاس: الثورة العربية الكبرى، ط4، دار طلاس ،دمشق ، سوريا،(دس)

منذر معاليقي : معالم النهضة في الفكر العربي الحديث ، ط 1 ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، 2003.

موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية،(دط) مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984

نجدت خماشي : الشام في صدر الإسلام (فتح حتى سقوط خلافة بنو أمية) ط 1، دار طلاس دمشق ، سوريا، 1987.

هشام سوادي هشام : تاريخ العرب الحديث ، 1918/1516 ، من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط1 ، دار الفكر ،عمان ، الأردن ، 2010

الموسوعـــــات :

عبد الوهاب الكيالي : الموسوعة السياسية الأجزاء 7، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، لبنان ، 1994.

علي مولى : الموسوعة العربية الميسرة ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان 2010 .

مسعود الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية (زامبيا ، سوريا) ج 9 ، دار رواد النهضة ، بيروت ، لبنان.

الموسوعة العربية العالمية ط 2 ، مؤسسة أعمال موسوعة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1999.

محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول والثاني، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر،1954

المعـــــــاجم :

س ، موستراس :المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية ، ترجمة وتعليق ، عصام محمد الشحادات ، ط1 ، دار إبن حزم ، بيروت ، لبنان ، 2002.

محمد صالح ربيع العجيلي : معجم المصطلحات والمفاهيم الجغرافية ،ط 1 ، دار الصفاء عمان ، الأردن

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، دار صابر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان 1997.

المجـــــــلات:

إليزابيث لونغيسيس وآخرون : الصحة العامة مهنة الطب وبناء الدولة في الوطن العربي نظرة تاريخية مجلة المستقبل ،(دع) ، 2011

بثينة عباس الجنابي : نظم الحكم والإدارة العثمانية في الوطن العربي ، مجلة كلية ال تربية الإسلامية قسم التاريخ ، العدد 71 ، 2001

عبد الرؤوف سنو : السلطان عبد الحميد الثاني والعرب : الجامعة الإسلامية وآثارها على العرب في إحتواء القومية العربية ، حوار العرب (بيروت)، 4 ، 2005.

كريم طلال منير الركابي: ثورة الاتحاديين في تركيا عام 1908،مجلة كلية التربية السياسية، العدد التاسع والاربعين،2006

محمد أحمد : الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني 1918/1876 ،مجلة دمشق مجلد 27 ، العدد1 و2 ،2001.

رسائـــل جامعيـــة :

جيهان بن إبراهيم بشار علي عبد الرحيم : الآثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام ، 1924 / 1939 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر ، قسم الدراسات العليا والتاريخية والحضارية ، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية ، 2011

منال سليم النحال : الشعر العربي في القرن التاسع عشر ، أغراضه ظواهره اتجاهاته وقضاياه ،لنيل شهادة الماجيستر ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الإسلامية ، غزة فلسطين، 2013

المراجع بالأجنبية:

Bichara et Naim Khader :<u>texte de la revolution Palestine</u> 1968/1974 sindibad1 et 3 rue feutrier ,paris 18 .

فهرس الموضوعات